عمران بن محمّد العمران

هوامش أدبيّة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ~ ١٩٩٢م

عمران بن محمد العمران

هوامش أدبية

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

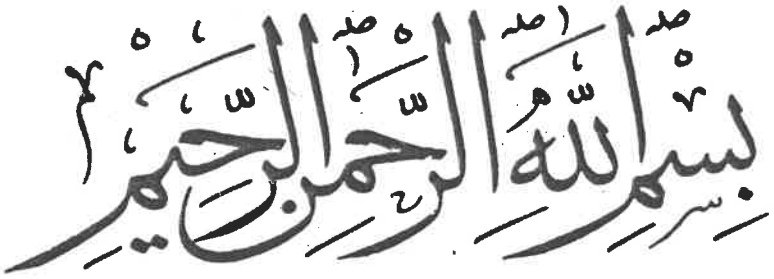
بسم الله الرحمن الرحيم

توطئـــة

هذه «هوامش أدبية» . . كُتبت في ظروف وفترات شتى . . منها ما أصبح راكداً ومنها ماهو متجدد أو قابل للتجدد .

وقد خطر لي ـ مؤخراً ـ أن ألم شتاتها في هذه «الأضمومة» .

ولربما لا يكون فيها مايشبع نهم القاريء الأديب أو ما يستسيغه ذوقه على الأقل . بيد أنها ـ على أية حال ـ تمثل مرحلة أو مراحل من منحى صاحبها ومن حياة قلمه .

وغاية أملي أن يقبلها هذا القاريء ـ على علاتها ـ وأن يتغاضى عما عساه يجد في غضونها من بساطة أو خلل .

ولقـد كانت نيتي إغفـال أمـرها واهمال نشرها مجددا ؛ إلا أنني رأيت من الغضاضة على تاريخ حياتنا الأدبية الحديثة تناسي هذه «الهوامش» خاصةً وأن جانبا كبيرا منها قد كُتب في أحيان لم تنضج فيها ثمرة هذا التاريخ بعد .

وكما نعرف ؛ فإن التاريخ ـ بغثه وسمينه ـ سجل للزمن ، ورصد لما يحمله من أفكار واتجاهات مهما يكن قدرها من الرشد والبلوغ .

وبعـــد . .

فرفقاً ـ أيها القاري ـ بهذه الهوامش . اقرأها ـ ولو على مضض ـ وضع في اعتبارك ، وأنت تقرؤها ، أنها ليست متناً ولا لُباً ولا جواهر أدب . . وإنما هي مجرد حواشٍ وهوامش .

عمران بن محمد العمران

الرياض : ١٤١٣/٢/٢٣هـ

١٩٩٢/٨/٢١م

أدب الجزيـــرة

كما يقال: الأدب المصري.. والأدب اللبناني.. والأدب العراقي، كذلك نريد أن يقال: الأدب السعودي أو أدب الجزيرة العربية، مادام أدباء العروبة ـ سامحهم الله ـ قد وافقوا على هذه التجزئة الخبيثة التي إنْ هي إلا أثر من آثار الفرقة والتعصب الاقليمي، التي أرسى أسسهـا، وأمدها بالغذاء وتعهدها بالرعاية، ودعمهـا بقـواه حتى نمت وتـرعرعت وصارت «علة العلل» سماسرةُ الاستعمار الفكري وزبانية الغزو الثقافي الأجنبي..!.

على كل.. فلنتنـاس هذه الاعتبـارات، ولنحسبها في دنيا الأدب طبيعة خلقتها نواحي الحياة ومن بينها البيئة الاجتماعية.. ولنسأل أنفسنا ـ أولاً ـ: هل لدينا أدب؟.

وإذا تسامحنا وكان الايجاب، فهل هذا الأدب صالح للتصدير كما سألت السؤال نفسه احدى مجلاتنا الأدبية منذ أعوام؟!.. ولا أشك أبدًا أن الجواب «بلا» أمر طبيعي لا مماراة فيه، وباعث هذا الاصرار أننا لم نحاول ـ قط ـ أن نخلق لأدبنا «شخصية» تميزه عن سواه وترسم له طابعاً خاصاً يسمه به مؤرخو الأدب، ويعرفه به اخواننا في الأقطار الشقيقة.

أبداً... ماحاولنا ذلك في قبيل ولا في دبير.. بل ولا فكرنا، وكل مافهمناه من معنى أنه إنشاء عبارات براقة، وتقليد لكبار الأدباء والشعراء في الوطن العربي والمهجر..!.

يشحذ أديبنا قلمه، ليسطر مقالة أو يحبر قصيدة أو يصمم قصة، فإذا به قد شحط بعيدا عن أفق قومه وحدود بيئته، وتخطاها إلى مجتمع القاهرة.. وبيروت واستمد خياله من أجواء «البندقية» و «الرفييرا» وساح في بلاد أمريكا اللاتينية.. في شوارع «بوينس أيرس» ومنتديات «سان باولو»!!.أما مظاهر البيئة الصحراوية

فيراعته عنها مقدسة.

كأن الأدب غير الحياة.. والحياة غير الأدب.. وكأن الأديب الأديب من لايهمه مجتمعه في قليل أو كثير، ومن لا يعبأ بما يدور حوله وعلى مسرح حياته، وما يتمثل في دنيا وطنه..!.

مهـلاً يا هؤلاء.. نحن لا نريدكم «ببغاوات» تحاكون غيركم في فنهم وظروفهم وتأملاتهم الفكرية، بل نريدكم واقعيين.. أجل واقعيين تسخرون أقلامكم في سبيل مجتمعكم. وتصبون نتاجكم في «قوالب» عربية لاشية فيها، وتجعلونه لسان صدق وترجمان حق لجزيرتكم العربية.. مهد العروبة الصافية.. ومنفذ الاشعاع.. ومأرز الإيمان.

نريد منكم أدباً عربيًا محضاً.. يمثل بلادكم ومجالسها العامة حق التمثيل، ويعطي العالم الخارجي ضوءاً عن حياة أمة وطبيعة شعب!.

نريد أدباً صافياً.. يستمد وحيه من الحياة وتتجاوب مفاهيمه مع الواقع.

نريد أن نخلق لأنفسنا مدرسة بل مدارس أدبية حديثة من طراز آخر.. ولا نريد أن نهرول في موكب أدب انعزالي مستورد، خرجت أساطينه مدارس لا تمت لمجتمعاتنا بأية صلة، ولا نحسب من يعتقد منهاجها إلا مقلدا من غير تبصر أو تدبر..!.

ولا مشادة في مانريد.. إننا نريد أدبا خاصا بالجزيرة العربية! يحمل طابعها ويمثل معالمها.

نريد أن نقول: أدب الجزيرة أو الأدب السعودي.. كما يقال: أدب الشام.. وأدب مصر.. وأدب المهجر..! ونريد أن نبصر الحياة تنبجس معانيها السامية من معين ذاك الأدب..!.

وبعد.. تُرى أي معنى لوجود أدباء وشعراء بين ظهرانينا، هم عنا وعن دنيانا في أودية من الأوهام والسراب يهيمون؟!.

البلاد السعودية/ عدد ٢٠٨٥ في ١٢/٧/١٣٧٥هـ.

هل هو شذوذ الشعراء؟

شذوذ الطباع، ونفور المزاج، وجنوح النزعات النفسية، والنظرة الفلسفية الغريبة إلى الحياة، والميل إلى الانزواء، أمور شائعة بين بعض الشعراء العرب، لا يكاد يخلو منها ديوان إلا ما قل.

ولسنا ندري ـ وقد لا يدري أحد على وجه اليقين ـ ما السر في ذلك مع أن الشعراء هم أناس مثلنا تماما، يشاركون قومهم العمل والمأكل والملبس وتجمعهم واياهم شتى الوشائج ويعيشون معهم في بيئة مشتركة ويرجعون إلى عرق واحد.

لكن الواقع ـ والفكرة للدكتور عمر حليق ـ أن الشعر يعمل عمل السحر في صاحبه فهو يجعل منه شخصا يتخيل نفسه فوق مستوى البشر، بسبب ما أوتيه من فن والهام، وبالتالي قدرة على تسخير اللغة طوع رغبته وتلاعب بالأساليب الفنية الساحرة في سبيل تركيز الفكرة، فهذه حقيقة توحي إليه بعجز سواه وبراعته هو نفسه في اختلاب ألباب الآخرين، بسحر عاطفته العميق أو تفوق ذهنيته، وتجعله يحس دائما بأن «سيفه» مسلول ومسلط على كل من وقف له معترضا، فيحاول أن يحلق في أجواء الخيال ليرى نفسه جالسة قريرة العين على عرشٍ خاص بها.

وثمة يطيب له أن يعلن على الملأ عصارة ما يعنُّ له من مباديء أو أفكار، فيحاول أن يسلخها على نفسه أولاً، ويأخذ في السعي لإقناع المجتمع من حوله، عله يسمع له أو يعي، والشواهد التاريخية على هذا وافرة.

إن القاريء المتتبع لتراث الفكر العربي مثلا يرى هذه الظاهرة واضحة جلية.

فهذا أمير شعراء العربية، في شتى عصورها، أبوالطيب المتنبيء، قد استوحى من خياله الشعري حب السلطان والرياسة مع أنه نشأ في بيت فاقة

ومخمصة، فقد كان أبوه ـ كما قيل ـ سقاءً وأمه كانت مسكينة بائسة، ولكن الفكرة ظلت تتخمر في رأسه، ومازالت تبحث عن المنطلق حتى فجرتها مخايله الشعرية، فدعا إلى بيعته، بل أراد أن يسمو بنفسه إلى مراتب النبوة.

وهذا شيخ المولدين بشار بن برد ـ الشاعر الأكمه الذي لم ير النور في حياته قط، والذي خرج إلى الدنيا مشوه الوجه قبيح المنظر كريه الخلقة، ما تورع قط في أن يبدي اعجابه بشاعريته هو نفسه وبعظمته أمام الخليفة العباسي وأمام أعيان الدولة ووجوهها؛ فقد ذكر عملاق الأدب العربي أبو الفرج الأصبهاني أن بشارا هذا كان إذا أراد الانشاد يصفق بيديه أولا ثم يتنحنح ويبصق يمنة ويسرة ثم يبدأ انشاده!.

وابن الرومي، كان معروفا بشدة التطير، والغلو في ذلك إلى أبعد الحدود حتى لقد زعم أن الطيرة طبع انساني وغريزة لا مناص منها.

ويروي مؤرخو الأدب أيضًا أن شاعر الرقة والعذوبة أبا عبادة البحتري كان قذر الهيئة وسخ الملبس بخيلا فيما تملك يده، وأنه يتشادق ويتزاور في مشيته جانبا أو القهقرِي، كما كان من أقبح خلق الله في القاء الشعر وانشاده فهو تارة يهز رأسه وأحيانا يهز منكبيه ويشير بكم ثوبه، وفي نهاية كل بيت يقف برهة ليقول لنفسه على مسمع من الحاضرين: أحسنت والله أحسنت! ثم يلتفت إلى مستمعيه ويخاطبهم معاتبا: مالكم لا تقولون أحسنت؟! هذا والله ما لايحسن أحد أن يقول مثله!.

أما أعمى المعرة وفيلسوفها، فقد أودى به الشذوذ إلى التناقض في فلسفته والتعارض بين آرائه والتشكيك في معتقده، وقد كان يحمل بين حشايا أضلاعه قلبا وحشيا، وإن كان أنسيا وابن أنسي، فنفر من الأناسي واستأنس بوحوش القفار ولاذ بالانعزالية.

ومـالنـا نذهب بعيدا في أغـوار الأيام الخوالي ولنا في الحاضر ألف شاهد وشـاهد؟! أليس «الدكاترة» زكي مبارك من هذا القبيل؛ لقد كان «الدكاترة» منزوياً شاذا، سريع التحول، ثائرا على الأوضاع التي لا ترضي نفسيته ولا تتلائم مع نظراته في الحياة، مع أنها أمور لا خلاص منها إلا بعد أجيال وأجيال، فأصبح في واد وحده وسائر أدباء مصر في واد آخر، ويكفي أن نعلم أن مجلة «الرسالة الجديدة» قد حشرته ضمن الوجوديين الذين أصدرت «لحسابهم» عددًا خاصاً في العام الماضي.

هذا عن الشعراء العرب. ويبدو أن شعراء العالم على هذا النمط يعيشون في عالم آخـر، ويمشـون في ركاب مجهول الكُنه، فصعدوا القمم الشامخة، أو الأبراج الخاوية ـ على الأصح ـ وأحاطوا أنفسهم بهالات لا يعترف بها لهم سوى أنفسهم، أو انفردوا بطباع تتصادم وطباع بني قومهم.

هذا، ولسنـا ننكـر أن الأغلبية الساحقة من شعراء هذا العصر لم يكونوا كذلـك فأصبحـوا لسان حقٍ ناطقاً باسم من حولهم، يتألمون لآلامه ويسرون لهناءته، وهذا لا يعني أن «الشذوذ» في دنيا الشعر قد انبتر به الزمان، كلا، فإنه لا يزال عميق الجذر لدى كثير من الشعراء المعاصرين، وربما شاركهم في ذلك بعض الكتاب، ولكن أكثر هذا قد أصبح طبعيا مجاراة لسنن الزمن الذي ما عاد يرى في ذلك إلا أنها أمور عادية أكثر منها انحرافات تستوجب السخط والاستنكار.

وبعد؛ فإن شذوذ الشعراء في طباعهم ظاهرة تستلفت نظر الباحث في أعصر الأدب وحياة رجاله، وتجعله يقف مشدوها أمام بعض النتوءات الأدبية، ولكنه إذا بحث عن السر فلن يجد هناك أكثر مما قلناه.وهو أن الشعر يوحي إلى صاحبه بأرستقراطية تبعده عن جو بني جنسه، فيبقى في برجه العاجي الموهوم يستوحي من نفسه ويرسم في ذهنه تلك الصورة التي يجب أن يواجه بها الناس متى برز

اليهم، وليس بدعـا عليه أن يفعـل مايشـاء في سبيل اظهار سخريته منهم أو استخفافه بهم أو اظهار العجب أو التذمر منهم، أو حتى من نفسه!.

اليمامة/ العدد ٦ في ١٣٧٥/٣/٦هـ.

نعم: أنتم الشعراء!

جلست إلى مكتبتي المنزلية المتواضعة، ذات ليلة، وتناولت ـ عن غير قصد ـ كتيبا صغير الحجم، ظريف الشكل، أنيق المظهر، وإذا هو أحد مؤلفات الفيلسوف العربي العبقري أمين الريحاني، واسم الكتاب «أنتم الشعراء»..

وبالرغم من أن هذا الكتاب صار في حوزتي منذ أكثر من عام إلا أني لم اقرأه قبل هذه المرة. والحق أنني قد قرأت عن هذا الكتاب وسمعت عنه الشيء الكثير على ألسنة الكُتاب والأدباء وفوق أعمدة الصحف والمجلات مما جعلني أندفع أكثر إلى قراءته بنهم وشغف..!.

وكانت فرصة سانحة حقا أن أتفرغ لقراءته ليلتي تلك.. فالكتاب دسم في مادته، عميق في فكرته، مصيب في خطرته، بعيد في أثره، فكان لي ما أردته.

يعتب الريحاني ـ وحق له العتب ـ على شعراء العروبة واقعهم المزري، فدموعهم أبداً منهمرة، وتأوهاتهم دائما متواصلة، وشكاواهم من الزمان وتباريحه تأخذ عليهم مقدارا ضخما من مخيلاتهم وتستبد بتفكيراتهم استبدادا مشينا.. وكأن كل هذا هو حظهم الأوفى من أدب الحياة، فلا تراهم عاملين لما وراء الأحداث ولا تكاد حواسهم تشم رائحة البحث عن كنه الحقائق وعن السبل الانسانية المجدية التي تعود على مجتمعهم العربي بالسعادة والقوة.

والواقع أن النحيب والأنين في الشعر العربي ظاهرة تبعث على الأسف والسخرية، فهي ولا ريب أمارة العجز والقصور وشارة الثبور والارادة المحطمة، وهذا مايخجل النفس، أو ما يأباه الضمير المتطلع إلى جو جاد، فيجب ألا يكون حظ الشاعر من مواهبه مجرد صراخ وعويل، بل نريد منه أن يكون داعية جد ونضال، وأن يقف تجاه أرزاء الحياة بايجابية وشجاعة كالعلم الأشم الذي يتحدى الطبيعة ويناطح الصخور!.

فرسالة الشاعر رسالة قدسية أزلية تسير في ركاب من العقل والعاطفة معا.

والريحاني في حملته هذه إنما يندد بأدب الدموع، أو الأدب الباكي، أما أدب الآلام فهو طبعا ليس بمعيب، لا في نظره ولا في نظر غيره، ذلك أن الشعر إذا كان مصدره الألم والحرقة فمعناه الطموح والنهوض. وعلماء القريض يجمعون على أن الشعر من الشعور أي الاحساس.

يقول الريحاني في فصل «دموع الشاعر» مفرقا بين الدموع والآلام ومفاضلاً:
«.. ولكن الألم غير الدموع. ومن السهل على من لا يفكرون تفكيرا صحيحا علميا أن يخلطوا بين الاثنين. ولا تظن - أيها القاريء العزيز - أن الدموع هي التي طهرت فرنسا من أدران الظلم والفساد، كما قال أحد الأدباء الدمعيين، بل هي الثورة التي ولدتها الآلام.

«الدموع تسكن القوى، والآلام تثيرها..».

ويقول عن عمالقة الشعراء أمثال المعري وهينه وده موسه:

لقد هيج الألم فيهم الدم، وماهيج الدموع. ولقد أثار الألم العواطف منهم وما أثار البكاء.. ألخ».

ويعيب الريحاني على شاعر العرب (فؤاد الخطيب)، قوله في الدموع:

هاتِ الدموع وحسبي في البلاء بها إن الدموع يدُ لله بيضاء!!

ويتساءل الناقد: هل الدموع في البلاء مفيدة؟ وهل الدموع - اطلاقا - تنفع؟.

ولا يشك أحد أن في عقلية من يقولون بجدوى البكاء شيئا بل أشياء من الوهم والسخافة.

وكما يأخذ الريحاني على شعرائنا نحيبهم المتواصل، يأخذ عليهم - أو على

بعضهم ـ بعض العيوب الخلقية ويربأ ببعضهم أن يستهتر بقوانين اللغة . . ! .

فهو يقول في وصاياه العشر: لا تبكِ: لا تسرق . . لا تشتهِ قصيدة أخيك أو نياشينه . . لا تمدح بالزور . . لا تكذب على دعد وهند وشقيقاتهما . . لا تحلف باسم ليلى بالباطل . . أكرم سيبويه ونفطويه والكسائي واخوانهم أجمعين . . إلى آخر هذه الوصايا التي ضرب بها جل شعرائنا عرض الحائط!! .

كما يوصيهم أيضًا ـ في وصاياه الخمس عشرة الآخرى ـ بالإندماج في بيئة العصر.

فمثلا يقول:

حرروا صناعتكم، من (قفانبك) و (سائق الأضعان). إن عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم.

«حرروا أنفسكم من القيود التي تحول دون الابداع والتجدد، ودون الصدق في الشعور والحرية في التفكير».

خذوا بيانكم ـ مجازكم واستعارتكم من لوح الوجود، ومن الحياة، لا من الكتب والدواوين».

ما أجدر شعراء هذا الزمان من العرب أن يسيروا في ظلال هذه التعليمات، فإن فيها سموا بشاعرياتهم واعلانا عن عبقرياتهم المثلى!! .

إننا نريد شعراً إنسانيًا ينبس بالشجاعة الأدبية، ويفيض بالروح المتفائلة الطامحة ويسير في ركب المثل العليا . . فلا نفاق . . ولا كذب . . ولا ندب . . ولا هذر . . ولا وهم . نريد ألا نكون كسيد الشعراء الكذابين الذي قال:

شيب رأسي وذلتي ونحولي ودموعي على هواك شهودي

وهو لم يشب في سن العشرين، وكان في الأرض من المتكبرين!! .

نريد أن نكفكف دموعنا . . وأن نرفع للناس مشاعل الاباء ومصابيح

ويظهر أن الأستاذ القرشي قد كتب هذه الأقاصيص منذ سنوات. . لأنني - على ما أذكر - قد قرأت بعضا منها في صحيفة «البلاد السعودية» إبان نشرها. . وشاء الأستاذ أخيرا أن يلمها في اضمامة واحدة مع بعض، فكانت هذه المجموعة التي يتناولها هذا القلم الآن. . !.

وأولى هذه الأقاصيص، قصة «أنات الساقية» التي أسمى بها مجموعته، وهي سائرة في طريق سهل مقبول، لولا أنها في الخاتمة تعثر في «حفرة» أحسبها هاوية . . فإن (حميدا) بطل القصة، يخز نفسه بشفرته المرهفة - بكل بساطة - وأمه تتحدث إليه عن سبب انتزاع «ناجية» من يديه، فيسقط سقطة الذبيح، وهذا شيء لا يوفي الفن القصصي سماته. . ويقول الأستاذ بعد هذا أن الفتى حميدا يعيش الآن في مصح الأمراض العقلية شيخا أشيب، سلوته الوحيدة بين أقرانه التعساء أن يقلد بصفيره الخافت المتقطع أنات الساقية التي صحبها منذ صباه. . ؟.

وأما القصة الثانية «ثورة ضمير» فهي قصة الضمير والبشرية منذ خلقها الله. . وقصة الصراع بين الفضيلة والرذيلة طيلة الآباد والأحقاب. . وقصة الحلال والحرام وهما يتنازعان الفؤاد. . وقصة التهافت الرخيص الذي يعقبه توبيخ الضمير وثورة القيم. . فلو لم يكتم «محسن» مالديه من حق صديقه الفقيد، لأراح ضميره من أوصابه ولغنم الأضعاف، ولكن الدناءة التي جُبل عليها بعض الناس تأبى عليه إلا أن يبيع نفسه في معرض الجشع، فيعود بالحسرة والندم. . يجرجر أذيال الخيبة، وتسومه سياط التأنيب ألوان المرارة والقسوة. . وهكذا يثور الضمير. . !.

وفي قصة «ذكر أم أنثى؟» تتمثل غلظة الأبوة وأنانيتها على مسرح الواقع المر، حين يحنق «عبدالمجيد» على شريكة حياته التي أنجبت له ولدا وهو يريد بنتا. . ! فينبذها ويشد على يد أخرى، ويشاء القدر أن تشبع هذه رغبته فتلد له أنثى وبعد

حجج تسع من عمر الصبي، يصحو الأب وقد أكل الهزال والشحوب جسم ولده المحروم من عطف الأبوة، والذي آل به الأمر إلى حمى التيفوئيد التي أسلمته لعالم الرحمة . . فيغلب التأثر الأب ويبكي حسرة، ويقتص القدر للطفل المهضوم بأن يمنح الله عبدالمجيد تسعاً من البنات ليس بينهن ذكر. . . ! .

صحيح أنها قصة غير عميقة الفكرة. . ولكنها لا تخلو من جو إنساني مشرق!! .

ومثلها في ذلك «رسالة غرام» إن لم تكن هذه أقل قيمة . . لأن جوانب الحياة فيها تبدو هزيلة . . وأنا أربأ بالأستاذ الكاتب أن يكون قد ساقها كحكاية وحسب . . أما الابتسامات التي ارتسمت على محيا (علي) حيناً من عمر الوظيفة ـ وهو المعروف بعنجهيته وقسوته ـ فإنها لا تسمو بالقصة إلى درجة النضج الفني واستيعاب مقومات الأدب! .

وتُصور «غروب أمل» و «حب بلا أمل» تعنت بعض الآباء ووقوفهم حجر عثرة في مهيع حياة بنيهم وبناتهم إشباعا لأنانياتهم المقيتة مما ينتج عنه تفكيك الروابط المقدسة وامتهان وشائج الأفئدة . . ولو أن الأخيرة لا ينطبق عليها تعريف القصة في نظرنا على الأقل . . وكما تعالج هاتان القصتان قضية التقاليد البالية العتيقة، تعالجها أيضاً قصة «تقاليد» حيث يثور ذلك الشاب الجامعي «شفيق» فيحطم قيود أبيه، ويصمم على أن يشق السبيل الذي يرتضيه لنفسه غير عابيء بما يعترضه من عقبات؛ ويضطر الأب بعد تهديد ابنه بالانتحار ـ خداعاً وجسَ نبض! ـ إلى الرضوخ لرغبة الفتى الشاب . . وهكذا يسخر شفيق من أغلال المجتمع العليل . . !!

والمأخذ الذي يكتنف «أنات الساقية» يكتنف أيضاً «عم شعبان» فإن المأساة المفاجئة التي تنتهي بها القصة ـ وهي الطلاق ـ كانت نتيجة ضخمة بالنسبة لما ترتبت عليه، وهو اجهاش الفتاة بالبكاء، لأن عم «شعبان» لم يشتر الحمار الذي

طلبه أخوها الصغير، ثم أن احجام عم شعبان عن الزواج بأخرى تخوفا من أن يطلب منه أخو العروس الجديدة سيارة بدلاً من حمار، لا ينهض حائلا بينه وبين الزواج، سيما وأن عقلية عم شعبان ليست بهذا المستوى المحدود.

وعلى كل ، فإن في قصة عم شعبان ـ كما قال الأستاذ محمود تيمور كاتب المقدمة ـ اشارة لطيفة إلى أن الإنسان تعتاده في حياته ذكرى ما صنع في أمسه . . وذلك ـ فيما أعتقد ـ كل ماقامت عليه هذه القصة . . وليس هو مما يسترعي انتباه الكاتب ـ أي كاتب ـ فالقصة مفتقرة إلى مقومات موضوعية وذاتية معا . ! .

ويرى القاريء في قصة (عاصفة . . .) كيف تفعل الظنون الآثمة فعلتها . . وكيف تجني على أصحابها أنفسهم ويتطاير شرارها إلى سواهم . . فيُحرم ذلك الشاب الطاهر من نصيبه . . كما تحرم الزوجة البريئة من حقها المفروض ! ! .

كما يرى في قصة (البطل) درسا حيا في الوطنية والتضحية والفداء . . وياله من فخر عظيم حين يقفو إبراهيم أثر أعدائه وحيدا . . وحين تنضب ذخيرته ويقترب منه أعداؤه ! فيمسك مدفعه بكلتا يديه على أم رأس خصمه الذي أطلق قنبلة يدوية على الفتى المناضل . . . فيخر شهيدا بعد أن أدى واجبه نحو وطنه وعروبته ! ! .

وفي قصة (الموظف الكبير) ترى ـ وكلنا يرى ـ كيف تأخذ الغطرسة والترفع على المرء نفسه عندما يحتل منصبا ساميا، فيتناسى أصحابه، حتى إذا ما نال منه الدهر وعاد ثانية إلى الحضيض يعود متوسلا لأخدانه عله يجد فيهم حلا لأزماته . . وتلك شنشنة درج عليها بعض البشر منذ القدم . ! .

وما أحلى تلك الذكريات المعسولة التي دونها الأستاذ القرشي عن لبنان ! وشدّ ما ضحكت كما ضحك منصور وهو يخاطب الأستاذ قائلا : وأخيرا وصلت يابطل ؟ ! .

إن منصـوراً هذا يبحث عن المتعـة الـرخيصـة، ولا يكاد يعترف بالحب الأفلاطوني القائم على العفة كما هو شأن الأستاذ حسن!! وما أكثر من هم على شاكلة منصور ممن يكون هدفهم من الرحلات اشباع الغرائز لا اشباع العقول!!.

و «حية تسعى».. تلك هي القصة التي تروي صفاء الجارين ـ عبدالسميع وعبده ـ ثم نفرتهما وأخيراً عودتهما إلى رباط الصداقة المتين.. عودتهما إليه بسبب بسيط جدًّا، وهو جذاذة صفيح عتيقة حسبها عبده حية رقطاء. فاستغاث بجاره عبد السميع الذي هرع إليه، ولم ير أمام عبده إلا الوهم.. فيكون ذلك ايذانا بعودة الصداقة والوداد مرة أخرى!. فالقصة في عمومها مشبعة بروح البساطة والسذاجة وأظن ليس في هذا أدنى غضاضة.

ويعلن الأستاذ ـ واسمه منصور ـ عن دخيلة نفسه تجاه شقيقه (سعيد) الذي توهمه منصور خصما ألد ومنافسا كبيرا له في ابنة عمه (آمال).. يعلن ذلك في يومياته التي صاحبت مرحلة الخطبة.وما تكاد هذه اليوميات الساخطة تقف عند عتبة مساء الأربعاء وهو ما توهمه منصور يوم زفاف أخيه ـ حتى يفاجأ الأستاذ بما لم يخطر له على بال، فيمسك بيده سعيد ويجلسه بجانب المأذون الذي بدأ الخطبة، فيسمع منصور أشجى كلام في حياته، وهو عقد قرانه بآمال، فيطير من عظم ما سمع، وهو ماكان يحلم به ويعقد به آماله الحلوة، وتنقلب دعوات منصور وسخطه وغضبه على أخيه إلى دعوات وقبلات له!!.

أما المسرحية القصيرة التي ختم بها الأستاذ القرشي مجموعته، والتي تصور الصراع المكشوف بين الروح والمادة، فقد كانت رائعة للغاية، وغنية بالمتعة الفكرية، ولقد كانت الأدوار محكمة، وتعبيرات شخوص الرواية دقيقة، لولا أن «حسينا» لم تبد على لسانه «لغة التجارة» بأسلوبها الواقعي المعروف الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.. كما وأن المسرحية تنتهي بهزيمة منكرة للروحانيات، وكان

الأجدر بالأستاذ أن يعكس النهاية . . ولو أن له في ذلك رأياً أراد به تصوير تغلغل المادة في نفوس الناس وابتعادهم عن دنيا الروح والسمو المعنوي ! .

وبعد ؛ فإن في قصص الأستاذ القرشي ـ في جملتها ـ صوراً لا بأس بها لواقع المجتمع في البلاد السعودية أو على الأقل في الجزء الغربي منها ، فإنك لامح بين ثناياها صور بيئة ذات خصائص هادئة وطبيعة صريحة ومجرى فطري ، أضف إلى هذا مايتسم به الكاتب من اعتدال في الرأي ورزانة في التفكير ونأي عن التحليق في أجواء الخيال المسرف والفلسفة العمياء والتهريج اللغوي . . فإن تلك وهذه من مميزات أسلوب القرشي وفكرته .

بقي ، قبل أن أضع القلم جانبا ، أن أحيي الأستاذ القرشي تحية الاعجاب والتقدير . . أحيي فيه قلمه السلس وفكرته العميقة ومخيلته الخصبة وشخصيته الأدبية الفذة . . شخصيته التي تتمثل في كل آن بين أعمدة الصحف وطيات المجلات ، وفي دواوينه الشعرية ، وفيما كتبه عنه بعض أعلام الأدب العربي في الأردن ومصر وغيرهما .

اليمامة / العدد ٦٠ في ٢١ / ٥ / ١٣٧٦هـ .

رشيد سليم الخوري:

شاعر الوطنية.. في المهجر

يقترن اسم الشاعر القروي ـ أو رشيد سليم الخوري ـ بروح وطنية ناضجة، ونغمة عربية حلوة.. فصوته أقوى الأصوات الوطنية في ربوع المهجر، وفؤاده يخفق ـ أبدا ـ بالحب للعروبة، وبالشوق والحنين للشرق العربي.. مهد الروحانيات ومثوى الالهام.. ومشع السحر.

ومن أجل الوطنية.. ومن أجل الارومة العريقة.. نبذ شاعرنا تلك «الاقليمية» الضيقة، وبريء من عبث «الطائفية» الحمقى، وبشر بالتسامح، ودعا من فوق أيكته إلى الوئام والانضمام تحت راية الأرض المقدسة.. عرين العروبة وحماها الغالي.

ومما يثير الدهشة والاعجاب معا، أن مناسبة وطنية ما، لا يمكن أن تفلت من ريشة هذا الشاعر الموهوب والرسام العبقري، دون أن يلهب أوراها بحماسته الفائرة وإيمانه القوي الدافق، وعروبته الموغلة في التصوف أحيانا.

ولا أشك ـ أبدا ـ أن «الغربة» كانت سبب مباشرا في اذكاء وطنيته إذ فيها يحس الغريب ـ وخصوصا إذا كان شاعرا، لأن الشاعرية تعني رقة الشعور وارهاف الحس ـ بمرارة البين وهفو الفؤاد وولع النفس بألفها فتنفجر عيونا وينابيع من الحنين الشجي والشوق الملح والحب العميق والاخلاص الوطيد.. ومابالك به إذا كان مغناه مهد خلود ومجادة وروض إباء وشيم؟ وإذا كان ـ في عصور خلت من كتاب الحياة ـ قد بسط أجنحته على هذا العالم وملأه اشعاعا وبهجة وحضارة؟!.

وكما أن الغرد يحن إلى وكره.. والهزبر لا يرتاد غير شراه... فإن الإنسان

يظل قلبه عالقا بمسقط أبيه وجده. . ومترنما بأيام ماضيه لا سيما إذا كان التاريخ المجيد قد فتح له صدره الرحب، ومد إليه كفه الندي، وأجلسه في القمة من خضمه الانساني الهائل.

وقد كان الوطن العربي كذلك. . ينضح بالسؤدد والمجد!.

وثمة وجد الشاعر القروي منتجعا رحبا لنفثات أفكاره، ومجالا لإعلان مايتردد بين حنايا أضلاعه وفي خلجات نفسه من صافي الود والاخلاص. . ووجد أن ذلك العز لم يأت هذا الشرق إلا عن طريق واحدة. . طريق الرسالة المحمدية. . !.

إذن. . ومادام هذا الناموس. . هو سر عز الشرق العربي. . وكُنه ماضيه الباسم فما على الشاعر القروي ـ وإن كان مسيحياً ـ لو أشاد بالرسول العربي العظيم، وحث بني قومه على التسامح ونبذ العصبيات المتطاحنة التي مزقت أشلاء الأمة الواحدة وتركتها نهبا مقسما لأعدائها من أوغاد الأعداء ووحوش الغاب. . كما قال:

فقد مزقت هذي المذاهب شملنا　　وقد حطمتنا بين ناب ومنسم!

ويحتفل مسلمو العرب في البرازيل ـ ذات عام ـ بذكرى مولد النبي الكريم محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهب شاعرنا مشاركا المسلمين هذه الذكرى بشعره الانطلاقي الحر:

عيد البرية. . عيد المولد النبوي　　في المشرقين له والمغربين دوي
يا قوم هذا مسيحي يذكركم　　لا ينهض الشرق إلا حبنا الأخوي
فإن ذكرتم «رسول الله» تكرمة　　فبلغوه سلام «الشاعر القروي»!

ويمتهن الفرنسيون حرمة الضيافة العربية، حين دهموا بيت «سلطان الأطرش» واختطفوا أحد الوطنيين اللائذين به، فيثور الزعيم العربي لهذه

الاهانة، ويزحف برجاله لانقاذ الأسير، وتنشب بين الطرفين معركة هائلة، كان الأبطال العرب يهجمون فيها على الدبابات بسلاحهم الأبيض فيقتلون ويعطلون حركاتها.. الأمر الذي أعجب الخصم قبل الصديق.. فأثار ذلك كامن شعوره وهز من وجدانه فأنشد قصيدة تتقد وطنية وقومية.. وفيها يقول:

إذا حاولت رفع الضيم فاضرب بسيف (محمد) واهجر (يسوعا)

وتقيم الجمعية الإسلامية في «سان باولو» سنة **١٩٣٣**م حفلاً بمناسبة «عيد الفطر» فيلقي فيه الشاعر قصيدته الخالدة ـ عيد الفطر ـ التي يقول فيها:

صياماً إلى أن ينطر السيف بالدم وصمتاً إلى أن يصدح الحق يافمي
أفطرٌ وأحرار الحمى في مجاعة وعيدٌ وأبطال الجهاد بمأتم..!؟

وكأنما هو مسلم، حين تعصر الحسرة مهجته، فيهتف في جموع الحفل:

لقد صام (هندي) فروع أمةً فهل ضار علجا صوم مليون مسلم؟

تصوروا.. أن «الشاعر القروي» في أثناء الأحداث التي مني بها الشعب العربي ـ كان يطوف بأصقاع البرازيل وأقاليمه النائية ليجمع التبرعات من عرب المهجر لخدمة قضيتهم الكبرى تجاه المستعمرين وأذنابهم الصهاينة.

وتصوروا.. أن تكاليف رحلاته هذه كانت من ربح «الجوارب» التي يحملها على ظهره متنقلا..!.

يقول الأستاذ محمد علي قره في كتابه ـ شعر من المهجر ـ: «لم تعرف العروبة في حياتها شاعرا أمينا على عزتها وكرامتها كالشاعر القروي.. بل لم تعرف من قبله شاعرا زاهدا بالمال والبنين، وكل مايتصل بالإنسان ـ أي إنسان ـ من نعيم الدنيا ومتعها كالشاعر القروي».

وفي هذه الأقصوصة دليل ساطع على تمكن الوطنية في قلب الشاعر القروي:

ذلك أن الجالية العربية في «بوينس أيرس» أدبت في سنة ١٩٣٤م مأدبة سخية للشاعر ورفيقه «الياس فرحات» وماكادت الحفلة تشرف على النهاية.. حتى هب شاعرنا فالقى قصيدة «لمن المآدب» - وهي منشورة في ديوانه: الزمازم - نعى فيها على القوم اسرافهم، وذكر أن من الخير لهم لو صرفوا نفقات المأدبة لمنكوبي جبل العرب بلبنان، ولما انتهى من القائها رمى بريال على المنضدة وتبعه بمثله فرحات، فتناثرت النقود من كل حدب واجتمع للمنكوبين مبلغ لا بأس به.

ولغة الضاد الفصحى تحتل من قلب شاعرنا سويداءه، فهو يرى فيها حاملة رسالة نبيلة خالدة ذات غاية عظيمة سامية.ومن هنا لم يتورع من وصم المتساهلين بها بالمروق من العرب ورمي العابثين بقوانينها بالجحود والاسفاف في حق العروبة.

وينظم الشاعر قصيدة بمناسبة «عيد الأضحى» ولكنه ينحو فيها منحى مستقلا، ويوجهها على نمط خاص.. شأن كل عربي اتخذ من الوحدة العربية هدفا وشعارا، وقد جاء في ختامها:

رحمة الله على كل فتى عربي ، راح للعُرب ضحية
وليعد فينا وفي أعقابنا عيد إيمان بدنيا الوطنية

وفي الثاني عشر من أغسطس سنة ١٩٢٦م أقيمت حفلة خطابية وكان خطيبها الرسمي «بولوس طورس» وهو كاتب وشاعر برازيلي معروف، وقد زار الديار الشامية أثناء الثورة السورية مراسلا لعدة صحف برازيلية، فكشف النقاب عن وحشية الفرنسيين وبربريتهم... فانتهز «الشاعر القروي» الفرصة، وقام منشدا قصيدته المتأججة بالوطنية «الحق لا يتجنس» وفيها يقول متهكما:

زعمـوا الشـآم بحـاجـة لمجـدد نعم المجـدد مدفـع ومسـدس!!
وابـن الشـآم بحـاجـة لممـدن نعم الممـدن للشعـوب «الشركس»

ويقول في فخار وعزة:

تلك الأنـوف الشم ليس يزيلهـا من أعبـد السنغـال أنف أفطس
والضـيغم العـربي ليس يروعـه عنـد الصـدام مخنث «متـبرس»

ثم يخص لبنان وماعاناه من عبودية وفساد في الحكم وقت الانتداب.. فيقول:

وطـن تحيرت العـبيـد لذلـه وأذل منـه رئيسـه و (المجلس)
جاء (المفوض) بالعليق فحمحموا وثنـى عليهم بالشكيم فأسلسوا
لا تسـلقـوهـم بالمـلام فإنهم جلسوا وهـل نخبوا لكيلا يجلسوا
في كل كرسي تسـنـد نائـب متكتف، أعمى، أصم، وأخرس!
فكـأن ذاك البرلـمان خريـبـة منبـوشـة، وهم الرسوم الـدرس
لولا شفـاعـة بعضـهم للعنتهم سلم الفتى الحـر الجريء الكيس
ولـيحـي كل مدافـع عن قومـه وبـلاده.. ولـيسقط «المتفـرنس»

وفي معرض الافتخار بالعرب وماضيهم المجيد، يترنح شاعرنا طربا، ولا يعزف على قيثارة الكون مرتلا آيات ذلك المجد الأثيل والشرف الخالد، ومترنما بتلك العـزيمـة المؤمنة التي دفعت بركب الانسانية أشواطاً إلى الأمام، وكانت واسطة خير بين حضارات وثقافات شتى:

أنـجـبـتـنـا (أمـة) مابـرحـت تنجب الأبـطال من عهـد «ثمـود»
زرعـوا الأرض سيـوفـا وقـنـا ثم رووهـا بإحســان وجـود
رقـصـوا الخيـل على الـطعن كما رقصـوا الـطير على خفق البنـود
كل يوم يكـشـف الـعـلم لهم أثـراً عن ذلـك المـاضي المجيـد!

كلما قيـل انـطوت أعـلامـهـم وانـطووا، هبـوا إلى مجد جديـد
كالنجـوم الـزهـر في أفـلاكهـا أبـداً بين هُوي وصـعـود!

ويمثل الشاعر القروي ـ هو والياس فرحات ـ فحولة الشعر العربي وجزالته في المهجر، وأهم مايتسم به شعره: سهـولـة الفهم، ودقـة العبارة، ورصانة الأسلوب، وتمكن القـافية، والمحـافظة على أصول اللغة وقوانينها شأن شعراء أمريكا اللاتينية العرب، وإن كان هذا لا ينافي وجود حركات تجديدية حرة.. لكنه تجديد لا يمس جوهر قوانين اللغة والشعر.

وتقـديرا لوطنيته الصادقة وعروبته الصريحة، تبرعت الجالية العربية هناك بطبع ديوانه الكبير الذي يعتبر بحق أضخم ديوان شعر عربي معاصر!.
فما أنبلها من أحاسيس.. أحاسيس شاعرنا القروي!.

المنهل/ رجب وشعبان ١٣٧٦هـ.

الشعر المنثور

لا أحب أن أكرر رأيي في الشعر المنثور ـ أو النثر المشعور ـ ولكني أراني مضطرا للبحث فيه من جديد. . سيما وقد أثار هذا الموضوع الأستاذ الكبير حسين بن سرحان في صحيفة «البلاد السعودية». . ونقلته لقرائها صحيفتنا المحبوبة «اليمامة». . وكم يسرني أن أسجل اعجابي بشجاعة الأستاذ الأدبية حول هذه البدعة ـ أو الأحبولة الجوفاء كما أحب أن أسميها ـ.

كما يغيظني أن يقوم بعض أدباء الشباب بحملة على رأي الأستاذ. . فيثير أحدهم زوبعة هوجاء في «البلاد السعودية» يناطح بها قلم الأديب المنصف!.

كثير من أدباء الشباب ـ مع عميق الأسف ـ يجنحون في تفكيرهم نحو المحاكاة والتقليد دون أن يكون لهم آراء استقلالية مثلى.

ـ ولن يُقدّر ـ بإذن الله ـ لهذا الكلام التافه أن يعد شعرا. . لا. . ولا نثرا فنياً. وكل ماهناك أنه طريق مختصرة للشهرة تحت ستار الرمزية. . ليس غير!.

إن الشعر معناه تصوير العواطف بأسلوب حساس ينبيء عن شعور عميق. . وتلك قاعدة مطردة في جميع لغات البشر. . ولكن ـ مع ذلك ـ فإن من حق أي لغة أن تتخذ لها طابعا خاصا في قرض الشعر وأصول وضعه. . وقد ظفرت لغتنا العربية بسمتي الوزن والقافية. . وأكرم بهما!!.

فلو جردنا الشعر منهما. . تُرى أي ميزة يمتاز بها هذا الفن لدينا؟. . وأي فارق سيكون ثمة بين الشعر والنثر الفني؟.

وماذا يبقى لنا من خصائص شعرنا؟ وكيف نتصور هذا الفن الخالد وقد بات نهبا بين المتأدبين وذوي الأفهام السقيمة؟!.

ويكفي أن أحيل أنصار هذه «الشعوذة» الأدبية على عدد صدر من مجلة

شـــوك.. وورد

الأستاذ الشاعر حسن عبدالله القرشي من أنشط أدبائنا في مجالات الكتابة والتأليف وقد تضاعف نشاطه هذا في السنوات الثلاث الأخيرة خاصة، حيث أخرج لنا خلالها ـ على ما أعلم ـ ديوانا من الشعر ، ومجموعة قصصية، ودراسة أدبية عن عنترة، ثم أخيراً كتابه «شوك وورد» الذي أنوه بذكره الآن.

وأحسب الأستاذ القرشي ليس في حاجة إلى تقديم أو تعريف به، فما من متعشق للأدب لدينا، إلا ويعرف عنه الكثير، وما أحسبه أيضًا في حاجة إلى عبارة اطراء، فنشاطه أكبر، وأدبه وحده هو الذي سيحدث عنه الناس، وهم بدورهم سيقدرون له ـ ولا مراء ـ فنه وكفاحه الأدبي. !.

على أن هذا الكتاب الذي طلع به علينا القرشي أخيراً، والذي قامت بطبعه ونشره مطابع الرياض الزاهرة التي كرمت باهدائي نسخة منه ـ كتاب لا يسمو بالقرشي، والحق يقال!.

فهو عبارة عن مجموعة مقالات قصيرة في الحياة والأدب والنقد والاجتماع، كتبها القرشي في فترات متباينة من حياته الأدبية، فهي قديمة، بل أن بعضها موغل في القدم كنقده لديوان العطار «الهوى والشباب» الذي صدر منذ حوالي خمسة عشر عاما، قبل أن يستقيم للقرشي بيانه، وقبل أن يتميز بأسلوبه ويستقل بفكرته، مما نحس معه أن هذه المقالات ـ أو بعضها ـ أشبه ماتكون بكتابة الشداة في ممارسة الأدب ومعالجة الكتابة، فليعذرني الأستاذ القرشي على هذه الصراحة «الجافة»!.

وجميع هذه المقالات قد نشر في الصحف أوقات كتابتها، فاعادة جمعها ونشرها في كتاب لا يعدو، بحال، أن يكون تسجيلا لتأريخ فكري من حق الأستاذ القرشي أن يحرص عليه وأن يبقيه، كما هو، لأنه يمثل مرحلة أو مراحل

من حياته الأدبية، وليرى فيه الناشئون ومَنْ بعدهم، صفحة من صفحات الجهد الأدبي له، ودليلاً حيا على التطور الفكري السريع الذي طرأ على فن القرشي في أسلوبه وتفكيره.

فمرحباً بالأستاذ القرشي في أشواكه وورده، وحيهلاً به كاتبا شاعراً. وشكراً لمطابع الرياض.

اليمامة/ عدد ١٥٨ في ١٣٧٨/٧/٢٢هـ.

العقـد النفسية.. في أدبنا

عقـد . . وما أكثرهـا من عقـد!

وهي عقد غريبة في بواعثها، غريبة في صورها . . وما أظن أديبا في البلاد العربية إلا وهو مشبع الخواطر والأفكار منها! .

وليس الذنب ـ فيما أعتقد ـ ذنب الأدباء، ولكنه ذنب من حولهم . . وهذا شيء مؤسف حقا . . فكم تعثرت أقلام، وكم كُبتت أفكار، وكم تاهت نفوس في حلكات الحياة لا تدري ماذا تقول، ولا كيف تنفذ دخائلها إلى دنيا الحياة والناس .

يأخـذ الكـاتب قلمـه فيشحذ ذهنه عله يفصح عن شيء، ولكن مايكاد الكلام ينساب مع هذا القلم، حتى تبدو أشباح من التقاليد والرغبات والأوضاع تلوح برهبتها، فتتكسر العبارات على هذه الصخرات، ويمسك الكاتب بيراعته خشية أن تنزلق فيما لا تحمد عقباه، فيظل يراوغ بها يمنة ويسرة . . هنا وهناك . . باذلا جهده في أن يبوح بما في نفسه ولو من طرف خفي كي لا يثير شعور فئة ما أو يغضب قلبا خاليا. فلنتصور مثل هذا الكاتب الذي يود الافصاح عما يجول بنفسه في لحظة يرتعش فيها قلبه ويضطرب وجدانه ويتمايل قلمه .

أنه ـ ولا مراء ـ سيأتي بكلام مرتبك مضطرب معقد . . كلام مشحون بالتردد والقلق . . مزيج من الجبن والشجاعة ستكون الرمزية فيه مضاعفة .

سيكون المعنى في قلب الشاعر أو الكاتب ـ وحده ـ كما يقولون ! .

إن المقالة أو القصة أو القصيدة من هذا اللون ستكون أشبه بسلسلة من العقد النفسية المتراكمة التي سينوء بها ذهن القاريء! .

اليمامة العدد ١٦٥ في ١٣/٩/١٣٧٨هـ.

الغـزل عنـد شـعرائنا

الغـزل أعـظم نغمة ترنم بها شاعر. . . يهوى سماعها الخاص والعام. . ويطرب لها كل ذي لب واحساس!.

وشاعر خلا شعره من هذا النوع الغنائي الجميل هو إلى دنيا الجماد أدنى. . وبعض النقاد المحدثين يقيسون عمق الشاعرية وغزارتها بما يشدو به الشاعر في هذا المجال. . أي بما ينفثه من شعور ملتهب نتيجة التجارب العاطفية التي مر بها قلبه واكتوى بلظى سعيرها وجدانه!.

هذا إذا كانت بواعثه ـ أي الغزل ـ تملأ ماحول الشاعر وتحيط بجوانب حياته فلا يكاد يفتح عينيه حتى يشعر بفؤاده يخفق وبأحشائه تحترق!.

أما إذا عمد الشاعر إلى اجترار عبارات الغزل وأغاريد الحب اجترارا ومن عالم خيالي لا وجودي فإن مثل هذا ـ طبعا ـ ليس بشاعر!.

وبمعنى أكثـر ايضـاحـا: معـظم الشعـراء ـ وليكن منهم شعراء بلادنا ـ يعمدون إلى قول الغزل «الاصطناعي». فيتصور الواحد منهم في خلده أن غادة خودا هيفاء استهواه جمال قدها وحور عينيها وحالك شعرها وإن حبها قد ملأ شغـافـه واستـولى على سويدائـه. . فيذوب في خيالهـا. . معـبرا عن لواعجـه «الجياشة» ومغردا بهذا الهيام «المندفع» في تأوه ولوعة وأنين!!.

إنه مجرد التقليد والمحاكاة للشعراء الآخرين الذين أحبوا ـ حقيقة ـ ومروا في حياتهم بألوان من التجارب العاطفية القاسية. . وإلا فما الباعث لقولهم هذا. . وما الذي حدا بهم لممارسة هذا «الغرض» الشعري الحلو!؟.

أعرف شاعرا من بلادنا، يزاول قرض الشعر منذ سنوات، وله في القوميات والاجتماعيات وما إليهما قصائد لا بأس بها ترشحه لأن يكون في مقدمة شعراء

المملكة.وله ـ فوق هذا ـ (قصائد) في الغزل لو تأملناها ـ مع شيء من التسامح ـ لوجدناها، أيضاً، لا بأس بها.. ولكنني أعرف من حياته الخاصة أن الحب لم يلج باب حياته.. وأن «المرأة» ـ وهي مادة الغزل ـ لم تغز مهجته يوما ما.. وإنه ـ من بعد ـ يعيش في مجتمع محافظ للغاية لا يسمح له بأن يرى من المرأة ولو قلامة ظفرها.. فمن أين إذن، جاء بهذه العبارات الغزلية المعسولة وأنى له أن يستوحي نسيباً صادرا عن صدق وعمق!؟.

الذي أظنه ـ بل أعتقده ـ إن شاعرنا أكثر ـ بلا شك ـ من ترداد القراءة في أشعار عمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وقيس بن الملوح وعباس بن الأحنف واضرابهم. وأن هذه المطالعات قد أكسبته ثروة لفظية في مصطلحات الغرام وأساليب الغزل فأنشد الشعر الغزلي ـ لا عن حقيقة وقلب ـ وإنما عن اتباعية ومحاكاة بدت ـ طبعا ـ فجة بين ثنايا أبياته ومقطعاته وقصائده.

وكهذا الشاعر. معظم الشعراء في بلادنا.. فهم يعيشون في مجتمع يرعى التقاليد ويتسم بالمحافظة التامة من جميع جوانب الحياة، وخاصة جانب الحب وملابساته.. وهم لهذا لا يعبرون ـ بحال ـ عما تكنه صدورهم من جوى ولا يبوحون إلا بافتراء وزور ينسبونه لنفوسهم علنا.

أقول هذا وقد عادت بي الذكرى لقصيدة، كنت قرأتها من مدة لشيخ من علماء العراق قالها في مستهل هذا القرن، وجمع فيها كل ما استطاعه من عبارات التشبيب والغزل وجمل الحب والهيام!.

تصوروا مثل هذا الشيخ.. عالم فاضل.. لا يتطرق الشك إليه بين مواطنيه.. يدبج قصيدة يتغزل فيها بفتاة رمته بسهمي لحظيها وتخلب لبه ببعد مهوى قرطها، وبأسيل خديها، وفحامة شعرها، وشتى مفاتن قدها وحديثها!..

هذا هو الغزل التقليدي الذي لا يصدر عن الأعماق.. وهو ـ كما قلت ديدن أكثر شعرائنا.

فلماذا يجهدون أفكارهم فتتكبد أقلامهم المشقة على «لا شيء»؟.

جميل منهم أن يكتبوا في الشعر الوطني والاجتماعي.. فهم عندما يكتبون في هذه الأغراض يعبرون عن عاطفة إنسانية مثلى تفيض بالصدق والحماسة وحرارة الإيمان!.

إن الأدب ـ والشعر في طليعته ـ يجب أن ينبع عن احساس وشعور وأن يكون صورة لما يكنه وحقيقة له.. أما أن يكون تقليدا ومحاكاة للآخرين في أغراضهم فهذا ما لا نريده لأديب شاعر حقا.

(*) اليمامة ـ العدد ١٦٨ في ١٢/١٠/١٣٧٨هـ.

ملاحظـات.. حـول:

ابن مقرب .. والقرامطـة

في العدد الأخير من مجلة «العربي» ـ عدد أبريل ١٩٦٠م ـ بحث قيم ممتع يستحق عليه كاتبه الأستاذ درويش المقدادي، من رجالات المعارف في الكويت الشقيق، الشكر، كل الشكر، والاعجاب، كل الاعجاب.

هذا البحث عن شاعـر مغمور من شعراء بلادنا عاش في القرن السابع الهجـري وعـانى من قسوة الحياة وتحدي الزمن ماكان له الأثر البعيد في خلق شاعريته وتفتح قريحته بأسمى المعاني وأجلها.. ونعني به ابن مقرب العيوني الاحسائي.

وقد عنَّت لي ـ وأنا اقرأ هذا البحث الشيق ـ ملاحظات لا تحط من شأنه، ولا يجوز للباحث أن يغفلها بحال:

١ ـ فقد ذكر الأستاذ المقدادي مثلا أن ابن مقرب توفي ببغداد.. وهذا خطأ وقع فيه من قبله الأستـاذ خير الـدين الـزركـلي صاحب (الاعلام).. ولكني أحسب الأستاذ الزركلي قد استدرك خطأه أخيراً في طبعة (الاعلام) الجديدة.

والحقيقة أن ابن مقرب توفي في بلدة بساحل عمان اسمها طيوي ولما أتاها سماها (طيبي) ولا تزال معروفة بهذا الاسم، وهذا أمر متعارف عند كثير من أدباء نجد والخليج العربي ولا سيما المعنيون منهم بحياة الشاعر وشعره.. وقـد نص على ذلك أحد المؤرخين في المخطوطة التيمورية ـ بدار الكتب المصرية (رقم ٦٣٧ تاريخ).

٢ ـ العداء المستحكم بينه وبين حكام عهده ليس ناشئا عن تطلعه للحكم، بل

لكونه مدح آل فضل العيونين ـ وكان الحكم في أبناء عمومتهم من العيونين أيضًا ـ ويدل على ذلك ماجاء في القصيدة التي مطلعها:

أأسكت عن مولى الورى أم أعاتبه وأهمل وعدي عنده أم أطالبه؟!

يقول فيها:

فلولا هواكم ماشقيت ولا غدا يصك برجلي القيد من لا أشاغبه

٣ ـ ازالة حكم القرامطة كان في سنة ٤٦٨ ـ ٤٦٩ ـ ٤٧٠ وليس كما ذكره الأستاذ المقدادي أي في سنة ٤٢٢هـ.

والحديث عن ابن مقرب يجرنا إلى الكلام عن القرامطة وعن حقيقتهم. وقد نشر أستاذنا الدكتور شكري فيصل في العدد نفسه من ـ العربي ـ مقالاً في الموضوع.. ونحن لا نريد أن نعلق على الموضوع لأننا نخشى ألا يجد تعليقنا عند كثير من القراء الآذان الصاغية.. وكل مانريد قوله:

١ ـ أن الأستاذ المقدادي قد تحدث في أحد مؤلفاته عن هذه الفرقة كلمة قد تكون أقرب إلى الحقيقة مما كتبه الدكتور الفاضل شكري فيصل.

٢ ـ أن الدكتور شكري فيصل، حينما كتب ماكتب، كان متأثرا تأثرا واضحا بما كتبه المؤرخون المتداولة تواريخهم بين أيدينا.. ولعل الدكتور شكري يوافقنا على أن البحث العلمي لا يبيح لنا أن نحكم على فرقة ما بما يحكم به عليها خصومها واعداؤها. والقرامطة فرقة أصبحت في ذمة التاريخ حيث انقرضوا وانقرضت دعوتهم ـ بحمد الله ـ ولهذا يجب أن ندرسها دراسة فاحصة ومجردة من كل قصد أو غاية، وليس معنى هذا أننا ننفي ماحدث منها من أفعال سيئة. وللمستشرق الفرنسي دي كوجيه مؤلف عن القرامطة استقى مواده مما أثر في المؤلفات التي بين أيدينا، وللرحالة ناصر خسرو ـ وهو باطني ـ وصف في رحلته المعروفة «سفرنامه» يلقي ضوءاً على أحوال هذه الفرقة، كما نجد في المخطوطة الماجدية الموجودة حاليًّا لدى الأستاذ صادق ماجد كردي

مدير البعثة العلمية السعودية بالأسكندرية من شرح ديوان ابن مقرب في الكلام عن استيلاء آل العوام على جزيرة أوال في عهد القرامطة مايدل على تسامح هذه الفرقة واخذها برأي حرية الأديان حيث سمحت لآن العوام وللسنيين في أوال ببناء مسجد واظهار مشاعر دينهم بدون مضايقة، وناصر خسرو أشار إلى ذلك حينما قال بأنهم لم يبنوا شيئا من المساجد ولكنهم حينما أراد أحد الحجاج أن يبني جامعا في الأحساء لم يمنعوه من ذلك.

وبعد.. فإننا كنا نرغب أن نقرأ للدكتور شكري فيصل بحثا أكثر تركيزاً وأكثر عمقاً عن هذه الفرقة.. وهذا لا يمنعنا من الشكر له على بحثه.

أما «العربي» فلها الشكر من قبل ومن بعد.

اليمامة/ عدد ٢٢١ في ٥/١١/١٣٧٩هـ.

الدولة العيونية

شعر ابن مقرب سجل حافل لتاريخ هذه الدولة

* * *

كانت «البحرين» ـ وهي موطن الدولة العيونية التي نخصها بهذا الحديث ـ تشمل في العرف القديم، معظم الأجزاء الشرقية من جزيرة العرب، فهي تعني قسما كبيرا يضم ـ بين ما يضم ـ الأحساء ـ والقطيف، وأوال، وقطر، وقد تلاشى هذا الاسم وأصبح مقصورا اليوم على جزيرة «أوال» لا يتعداها.

وكانت ـ أي البحرين ـ مسرحا لكثير من الفتن والثورات التي عرفها تاريخ العالم الإسلامي.. ومن ذلك ثورة القرامطة ـ أيام العباسيين ـ التي تعد أبرز حركة شهدها هذا التاريخ!.

و «القرامطة» طائفة تضاربت الآراء حول حقيقتهم.. وأكثر المؤرخين يكادون يجمعون على أنهم دعاة فتنة ودمار وتخريب وسفك دماء.. وأنهم قالوا بالشيوعية في الأموال بل وفي النساء!!.

بيد أن هذا الرأي ـ على ما أعتقد ـ قد لا يخلو من المبالغة بحال، والبحث العلمي لا يبيح لنا أن نحكم على فرقة ما بما يحكم به عليها خصومها وأعداؤها.. والقرامطة فرقة أصبحت في ذمة التاريخ فقد بادوا وبادت فتنتهم.. ولهذا يجب ـ عند دراستها ـ أن نكون محايدين ومجردين من كل قصد أو غاية، وليس معنى هذا أننا ننفي ماحدث منها من أفعال سيئة وأعمال مشينة. وللمستشرق (دي جو De Goeie) المتوفى سنة ١٩٠٨م مؤلف عن القرامطة استقى مواده مما أثر في المؤلفات التي بين أيدينا. وللرحالة ناصر خسرو ـ وهو باطني ـ وصف في رحلته المعروفة

«سفـرنامة» يلقى ضوءًا على أحوال هذه الفرقة.كما نجد في المخطوطة الماجدية المـوجودة حاليًّا لدى الأستاذ صادق كردي ـ مدير البعثات العلمية السعودية ـ بالاسكندرية ـ من شرح ديوان «ابن مقرب» في الكلام عن استيلاء آل العوام على جزيرة «أوال» في عهد القرامطة مايدل على تسامح هذه الفرقة وأخذها برأي حرية الأديان حيث سمحت لآل العـوام وللسنيين في «أوال» ببنـاء مسجـد واظهـار مشاعرهم الدينية بدون مضايقة، وناصر خسرو أشار إلى ذلك حينما قال بأنهم لم يبنوا شيئا من المساجد ولكنهم حينما أراد أحد الحجاج أن يبني جامعا في الأحساء لم يمنعوه.

ولئن أحدث خروج القرامطة رعبا شديدا ودويا مروعا في شتى بقاع العالم الإسـلامي وخاصة بعد ماحدث من انتزاعهم الحجر الأسود من الكعبة ونقله للقطيف، فقد كان للبدو اليد الطولى في ذلك، فيظهر أن هؤلاء قد وجدوا في التسـاهل المذهبي الذي أخذ به القرامطة منفذا يعيثون من خلاله في البلاد، ينهبون قوافل الحاج، ويتربصون بالآمنين، ويمتهنون الحرمات.

وقـد استغلهم القـرامـطة في مواجهة خصومهم أبرع استغلال فكانوا سر قوتهم. ورأى البدو ـ من جانبهم ـ أن يستغلوا الفرصة لينالوا شيئا من التركة، فعثوا وسلبوا وقتلوا، وملأوا القلوب رعبا، فتضخمت «قضية القرامطة» في أعين الناس وصار السوء سؤين.

وكان طبيعيا أن تهز حركة القرامطة أريكة الخلافة في بغداد هزا عنيفا، وأن يسيطر القلق على الخليفة العباسي ـ الحاكم الاسمي ـ وعلى أفئدة السلجوقيين ـ حكام بغداد الفعليون ـ.

وبذلت «بغداد» محاولا شتى لقمح الحركة الجديدة، ولكنها فشلت، فظلت متحفـزة تتحـين الفـرص، إلا أن الضعف كان قد بدأ يدب في جسم الدولة العباسية، فهي وحدها لن تكون قادرة على توجيه الضربة القاصمة إلى القرامطة

الذين سيطروا على أكثر أقاليم الجزيرة بل تخطوها.

ويبدو أن أهل البحرين - أو جلهم - ليسوا بالراضين عن حكم القرامطة، فقد أثقلوا كواهلهم بالمكوس والضرائب، ونادوا بحرية العقيدة، فضجت جمهرة الناس وباتوا يفكرون جديا في التخلص من هذا النير الذي رزح بكابوسه عليهم ردحا من السنين.

وتحمس للفكرة (عبدالله بن علي العيوني) أحد زعماء «هجر» بالأحساء، فكتب إلى دار الخلافة ببغداد، يعرض عليها أن تمد له يد العون لينتزع بلاده من قبضة القرامطة ويدعو للعباسيين فيها، فلقي عرضه صدى وقبولا هنالك.

وأعان على نجاح الفكرة أن الدولة القرمطية نفسها دخلها الوهن، وبدأت تفقد بعض أطرافها.. فقد تمكن (أبو البهلول العوام) من انتزاع «أوال» - جزيرة البحرين اليوم - وجعلها تحت حكمه.. كما طرد «يحيى بن العياش» ولاة القرامطة من «القطيف» - أو «الخط» كما تسمى أحيانا - بل حاول ضم «أوال» إلى «القطيف» ولكنه مات قبل تنفيذ عزمه، فخلفه ابنه زكريا الذي استطاع بحزمه وقوة ارادته أن يقضي على أبي البهلول ويجعل من «أوال» و «القطيف» معا بلدا خاضعا لنفوذه وحده. وبذلك لم يبق في أيدي القرامطة سوى الأحساء وقراها.

كانت فرصة سانحة حقا للعيونيين أن يعلنوا التمرد على القرامطة وأن تمد لهم «بغداد» يدها.

و «العيونيون» يرجعون بنسبهم إلى قبيلة عبدالقيس العدنانية، وقد أسلمت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ووفدت عليه وفودها مرتين.

وسموا كذلك نسبة إلى مساكنهم في مشارف «العيون» بالأحساء.

تخمرت الفكرة في ذهن عبدالله بن علي، زعيم العيونيين، وكان أن كتب في سنة ٤٦٦هـ إلى جلال الدولة السلجوقي في بغداد، فجاءته النجدة من سبعة آلاف فارس ـ على ماقيل ـ بقيادة (أكسك سالار) انضموا إلى جموع العيونيين. وكان من الحكمة أن يتجه هذا الغزو إلى القطيف، لأن تملكها أيسر، وسيقوي الاستيلاء عليها من جانبهم تجاه القرامطة، واستطاع هذا الحشد أن يسحق قوة ابن عياش وأن يتجه صوب الاحساء ليحاصر القرامطة، وطال به الحصار، حتى لقد مل جنود (أكسك سالار) الحرب والغربة، فتشاور هذا مع عبدالله بن علي الذي طلب إليه أن يُبقي معه مائتي فارس ويرجع إلى العراق. واستمر الحصار طويلاً إذ استعان القرامطة بقبائل عامر فأمدوهم، ولكن العيوني لم ييأس، فكانت سنوات ٤٦٨ ـ ٤٦٩ ـ ٤٧٠ ويلاً على القرامطة ومن مالأهم من الأعراب، وانتهى الأمر بهزيمتهم، شر هزيمة، في احدى الوقعات وبتشتت جموعهم. وطلب الأمان لأنفسهم.

وبذلك أفل نجم دولة القرامطة إلى الأبد، وبزغت شمس الامارة العيونية، وتنفست بغداد الصعداء.

على أن الأمور لم تهدأ لعبد الله بن علي العيوني ـ كما قد نتصور ـ فقد جهز (ابن عياش) جيشا سار به نحو الحسا، يريد القضاء على الامارة الناشئة، فدارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس في (ناظرة) انتهت بهزيمة ابن عياش وتراجعه للقطيف، فتتبعه العيونيون إلى هناك، ففر إلى (أوال) فسار في أثره (الفضل بن عبدالله بن علي العيوني) فاضطر للهرب إلى (العقير) وقتل العيونيون وزيره المسمى (العكروت).. وفي (العقير) تمكن ابن عياش من اغراء بعض البدو فقصد بهم القطيف.. ولكن عبدالله بن علي كان له بالمرصاد، فقضى عليه وعلى جمعه قضاءا مبرما.. وبذلك تمت تصفية البحرين واخضاعها قاطبة للحكم العيوني.

ويعتبر شعر ابن مقرب العيوني (٥٧٢ ـ ٦٢٩هـ) سجلا حافلا يلتمس فيه الباحث كثيرا من أخبار القرامطة والعيونيين وماجرى بينهما من حروب، ثم ما جرى ـ بعد ذلك ـ من صراع ونزاع بين العيونيين ومنافسيهم من آل عياش حول السيادة في البحرين. وإنا لمختارون شيئا من قصيدته الميمية الشهيرة التي دون فيها جزءاً كبيراً من أمجاد قومه وبطولاتهم الخارقة في تحرير البحرين من نير القرامطة، وما صادفهم في سبيل القضاء على مناوئيهم من صعاب جمة.

أشار في قصيدته هذه إلى ماكان من أمر القرامطة أولا ودمارهم آخراً بواسطة أجداده العيونيين فقال:

سل القرامط: من شظى جماجمهم
فلقاً، وغادرهم ـ بعد العلا ـ خدما؟

من بعد أن جل بالبحرين شأنهمو
وأرجفوا (الشام) بالغارات و (الحرما)

ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها
أرض (العراق) وتغشى تارة (أدما)

وحرقوا (عبد قيس) في منازلهم
وصيروا الغر من سادتها حمما!!

وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
شهر الصيام ونصوا منهمو صنما

وما بنوا مسجدا لله نعرفه
بل كلما أدركوه قائما هدما

ووصف ماجرى لابن عياش مع قومه. فقال:

ولم ينج (ابن عياش) ومهجته
يم إذا ما رآه الناظر ارتسما

أتـى مغـيرا فوافى جوَّ (نـاظـرة)
فعـايـن المـوت منـا دون مازعـما
فراح يطرد طرد الـوحش ليس يرى
حبـل الـسـلامـة إلا الـسـوط والـقـدمـا
فانـصـاع نحـو (أوال) يبـتـغي عصـما
إذ لم يجد في نواحـي (الخط) معـتـصـما
فأقـحـم الـبـحـر منـا خلفـه ملك
مازال ـ مُذ كان ـ للأهـوال مقـتـحـما
فحـاز ملك (أوال) بعـد ماتـرك (الـ
ـعـكـروت) بالـسـيـف للغـبراء ملتـزمـا

ويكاد شعر (ابن مقرب) يكون المرجع الوحيد لدراسة تاريخ الدولة العيونية فليسَ مَن مراجع أخرى عنيت بذلك ـ فيما نعلم ـ سوى نتف يسيرة وردت عرضا أو اطرادا، أو تكملة لبحث، في بعض الكتب، ومنها مخطوط في التراجم، مجهول المؤلف موجود في دار الكتب المصرية «المكتبة التيمورية» وجل من ترجموا فيه هم من الشيعة، ويبدو في مواضع كثيرة أن مؤلفه شيعي، وهذا الكتاب قد تكلم عن العيونيين، وعد من ولاتهم نحوا من عشرين أميرا، محاولا في ذلك ترتيب سنوات حكمهم بالتسلسل، بيد أن الباحث لن يقنع بذلك، كما أنه لن يجزم باعتماد كل ما أورده (ابن مقرب) في شعره عن بني عمه العيونيين، ولا سيما في الفترة الأخيرة من حكمهم حينما دب الخلاف بين أفراد الأسرة، وحينما أصبح «ابن مقرب» منبوذاً وملاحقا في ماله وفي رأيه من ذوي الأمر، فكان شعره في هؤلاء المتأخرين عتابا وتوبيخا وتحذيراً، تسيره العاطفة وتمليه الانفعالات.

فالنتيجة ـ إذن ـ أن تاريخ الإمارة العيونية غير ظاهر لنا تماما، وإلى أن نعثر على دقائقه سيظل أشبه بحلقة مفقودة في تاريخ بلادنا.

فلنعـد قليلا إلى أيام عبدالله بن علي. مؤسس الامارة العيونية، فإن أيام حكمه لم تخل من بعض الفتن والقلاقل. . فقد حاول حاكم جزيرة (قيس) - القريبة من الساحل الفارسي - غزو جزيرة «أوال» العيونية. وقاد بنفسه جيشا عرمرما ونزل في «سترة» فخرج إليه الأمير العيوني، والتقى الجمعان فدارت الدائرة على الغزاة وعادوا أدراج الرياح بعد أن خلفوا وراءهم عددا كبيراً من القتلى والأسرى.

وحاول «بنو عامر» اثارة الفوضى في البلاد، بأن طلبوا إلى الأمير العيوني، أن يعيد لهم ماكانوا يتلقونه من جرايات على عهد القرامطة، فلم يجبهم إلى ذلك، فأجمعوا على غزوه وجاؤوا في حشود من البدو. . وبالرغم من الحيل العسكرية التي عملهـا هؤلاء ساعـة المعـركـة، فقد رجعوا على أعقابهم مدبرين، ففتك بهم العيونيون فتكا ذريعا حتى قيل أنه لم ينج منهم سوى فئة قليلة فرت إلى العراق، أما نساؤهم واطفالهم وعجزتهم فقد وجههم عبدالله بن علي ناحية عمان.

ومـات عبدالله بن علي سنة ٥٠٠هـ فخلفه ابنه الفضل، وفي عهده عم الأمن والـرخاء وجعل من نفسه أباً للمستضعفين وحامياً لحقوقهم، وقد عرف بالشهامة والكرم والاقدام وعلو الهمة، ولكن الأمر لم يطل به فاغتاله أحد خدمه في «تاروت». . وتعاقب بعده عدد من الأمراء العيونيين، ومنهم (محمد بن أحمد المكنى بأبي الحسين بن عبدالله بن علي) الذي استعادت في عهده الامارة هيبتها بعد فترة عصيبة اجتازتها نتيجة لصراع داخلي في أفراد الأسرة، وفي عهده امتد نفـوذ العيونيين إلى اليمامة ونجد وبادية الشام حتى حلب. وأسند إليه الخليفة الناصر لدين الله خفارة حاج بغداد. . وقد حاولت بوادي الشام نهب الحاج ولكن محاولاتها باءت بالفشل. . وحاول (بنو مالك) الخروج عن طاعته فقمع شوكتهم وسلب أموالهم مما نجده مفصلا في شعر «ابن مقرب». . وتعاقب على الحكم بعد وفاته عدد من العيونيين، وعاد التطاحن يسود جو الأسرة، وبدأ الضعف يأكل في جسم الدولة، وكثرت غارات الأعراب على أطراف الأحساء، حتى جاء آخر

أمرائهم، وهو الفضل بن محمد بن مسعود فتواطأ مستشاروه مع رؤساء (بني عقيل بن عامر) فحاكوا سلسلة من المؤامرات لاضعاف مركزه، حتى لقد حملوه على أن يسلمهم كل مارغبوا فيه من قصور ونخيل خاصة به وببني عمه العيونيين، الأمر الذي أمضّ قلوب أبناء العم وملأها سخطا عليه، فنفضوا أيديهم من مساندته، فتكالب على الامارة شتيت من الكوارث، وأخذت تتلاشى وتسير في طريق النهاية، وكانت الخاتمة استيلاء بني عصفور وهم رؤساء بني عقيل ـ على السلطة، وانقراض حكم العيونيين.

كان انقراض حكمهم في العقد الرابع، من القرن السابع الهجري، أي بعد وفاة شاعرهم ابن مقرب بسنوات، وكان ابن مقرب قد تنبأ بقرب سوء المصير، لما رآه من عبث الغرباء بشئون الدولة، وتغلغل نفوذهم فيها وسيطرتهم على الأمير نتيجة لضعف شخصيته وانعدام ارادته.. وإنك لواجد في ديوان هذا الشاعر الكثير من الشعر الذي يحكي ما أحاط بالأسرة العيونية.. ومنها ابن مقرب، من ضعة وهوان، ومانالها من حرمان ومصادرة للأموال.

وأصدق مثل لذلك قصيدته النونية التي مطلعها:

بعض الذي نالنا ـ يادهر ـ يكفينا
فامنن ببقيا وأودعها يداً فينا

وإذا كان لابد من كلمة تقال عن هذه الدولة، في خاتمة البحث، فحسبنا أن نقرر أن صفة «الدولة» التي أضفيناها كثيرا على الحكم العيوني، فيها شيء من التسامح إذ أن الطابع البدائي هو الغالب على نظمها العامة، إن كان لها نظم، وإلا فالإمارة العيونية أشبه بحكم قبلي ولكن على مدى أوسع وصورة أعم؛ فهي لا تسمو، في طريقة الحكم، إلى الطرق التي أخذت بها الدول المعاصرة لها، فكانت بدوية المظهر قبلية الحكم.

ولكن حسبها، وحسب رجالها، ولا سيما المتقدمون منهم، أنهم استطاعوا القضاء على القرامطة وتمكنوا من تأسيس امارة عربية ذات سلطان مهيب تظل بجناحها ضفاف الخليج وتحتضن قسماً عظيماً من الجزيرة العربية في زمن كان حظ العرب فيه من الحكم ضئيلا، وكانت «الشعوبية» فيه ربة الحول والطول والصول في أكثر الممالك العربية الإسلامية.

مجلة المعرفة/ شعبان ١٣٨١هـ.

هل لدينا شعراء..؟

الشعراء في بلادنا يستوحون أخيلتهم من بيئات أخرى

إذا أخذنا بالتعريف القائل بأن الشعر هو الشعور، وهو تعريف لا غبار على صدقه، حكمنا جازمين بأن معظم «شعراء» بلادنا هم من أبعد الناس عن فن الشعر وعن مفهومه.

وماكان الشعر.. بل ولا يجب أن يكون.. إلا صدى حاكيا لانفعالات نفسية وتجارب ذاتية مر بها الشاعر وعاشها في حياته. وإن هو ـ أي الشعر ـ كان غير ذلك فهو خواء غير ذي روح.

وأحسب أن البيئة الاجتماعية لدينا بيئة محدودة الأبعاد، وتحكمها العقد النفسية إلى حد كبير، كما أن قسوة الصحراء وجفاف الطبيعة في بلادنا جعلت الشاعر المعاصر عندنا في حيرة من أمره، فالجو الذي يستوحي منه الشاعر شعره ويستمد منه فكره يكاد يكون شيئا لا وجود له في حياتنا.. ومن ثم نشأت لدى أرباب النظم فكرة استيحاء الأخيلة من البيئات المجاورة لنا وأحيانا من سواها..

وإنك لتعجب كثيرا إذ ترى (شاعرا) يرسل الآهات تلو الآهات، والعواطف المشبوبة أعقاب بعضها، واصفا الحبيب بأعذب الأوصاف، وشاكيا لوعة الحرمان ومرارة البين ـ انك لتعجب حقا لهذا (الشاعر) إذا أدركت أنه يعيش في مجتمع لا يجيز لرجل أن يخاطب امرأة من غير أهله ولا يبيح لهما أن يريا بعضهما، وأن هذا القائل لم يقدر له أن يبرح بيئته إلى غيرها، وانك لتسأل ـ بعد ذلك ـ كيف تولد هذا الهيام وكيف ترعرع ذلك الحب في بيئة لا أثر فيها لبواعث الحب ومسبباته؟! ويأتيك الجواب في كلمة واحدة هي.. التقليد.. تقليد المتقدمين من شعراء الغزل في الأدب العربي الذي تهيأت لهم الأسباب حقا.

مثل هذا (الشاعر) نجده قد قرأ كثيراً لشعراء الغزل الأقدمين، وقرأ كثيراً من قصص الحب وحكايات المتيمين قديما وحديثا، ففهم مدلول ذلك نظريًّا وأصبح ـ تبعا لذلك ـ يجيد كيف يتشبب ويتغزل، وكيف يتودد إلى الحبيب الموهوم، وكيف يتأوه ويشكو حرقة الفراق. ولا ننكر أن كثيرا من أمثال هذا النوع قد يجيدون فنهم اجادة تامة حتى ليخيل إليك أنهم يصدرون في ذلك عن فؤاد مكلوم وقلب معنى. إن مثل هذا النوع هم ـ بدون نكران أيضاً ـ شعراء نظريا، كما قلنا، ولكنهم في حقيقة مفهوم الشعر، ليسوا شعراء.

وإنك لتعجب ـ وهذا مثل ثانٍ ـ لشاعر يوغل في وصف محاسن الطبيعة من خرير المياه وانسياب الجداول، ومن تغريد العنادل أو نوحها، وتبادلها الأفراح والأتراح بلغتها الخاصة، ومن تقبيل النسيم للزهور في أماسي أيار وتضوع شذى هذه الزهور ـ بعد تفتحها ـ وانتشار عبقها حواليه.. إلى غير ذلك مما لا يتوائم مع البيئة التي درج في ربوعها هذا «الشاعر».

وجميع الشعر الوجداني لدى «شعرائنا» شعر اصطناعي مخادع أملته المحاكاة، فهو لم يصدر عن الوجدان نفسه.. فإذا علمنا أن مثل هذا الشعر لدى الشاعر الحق يمثل في دنيا الأدب والنقد، الشعر كل الشعر، أدركنا تواً أن الشعر فن يفتقر إليه أدب بلادنا المعاصر، وأدركنا بالتالي أن لا وجود للشعراء لدينا.

وتعجب ـ من بعد ـ أن يعمد كاتب إلى تقديم شيء من الدراسة لنتاج بعض «شعرائنا» ولمناحيهم الفنية، فيصف هذا بأن شاعر كلاسيكي وذاك بأنه رومانسي وثالثاً بأنه يجنح إلى الواقعية، ورابعاً بأنه سريالي، وهكذا يذهب به الاسترسال المفزع إلى حد أن يجعل المذاهب الأدبية جميعها متمثلة في نتاج هؤلاء.. مع أنهم ما كانوا يصدرون في أشعارهم عن فيض شعري كامن في الأعماق.

هل لدينا شعراء..؟

الشعراء في بلادنا يستوحون أخيلتهم من بيئات أخرى

إذا أخذنا بالتعريف القائل بأن الشعر هو الشعور، وهو تعريف لا غبار على صدقه، حكمنا جازمين بأن معظم «شعراء» بلادنا هم من أبعد الناس عن فن الشعر وعن مفهومه.

وماكان الشعر.. بل ولا يجب أن يكون.. إلا صدى حاكيا لانفعالات نفسية وتجارب ذاتية مر بها الشاعر وعاشها في حياته. وإن هو- أي الشعر- كان غير ذلك فهو خواء غير ذي روح.

وأحسب أن البيئة الاجتماعية لدينا بيئة محدودة الأبعاد، وتحكمها العقد النفسية إلى حد كبير، كما أن قسوة الصحراء وجفاف الطبيعة في بلادنا جعلت الشاعر المعاصر عندنا في حيرة من أمره، فالجو الذي يستوحي منه الشاعر شعره ويستمد منه فكره يكاد يكون شيئا لا وجود له في حياتنا.. ومن ثم نشأت لدى أرباب النظم فكرة استيحاء الأخيلة من البيئات المجاورة لنا وأحيانا من سواها..

وإنك لتعجب كثيرا إذ ترى (شاعرا) يرسل الآهات تلو الآهات، والعواطف المشبوبة أعقاب بعضها، واصفا الحبيب بأعذب الأوصاف، وشاكيا لوعة الحرمان ومرارة البين- انك لتعجب حقا لهذا (الشاعر) إذا أدركت أنه يعيش في مجتمع لا يجيز لرجل أن يخاطب امرأة من غير أهله ولا يبيح لهما أن يريا بعضهما، وأن هذا القائل لم يقدر له أن يبرح بيئته إلى غيرها، وانك لتسأل- بعد ذلك- كيف تولد هذا الهيام وكيف ترعرع ذلك الحب في بيئة لا أثر فيها لبواعث الحب ومسبباته؟! ويأتيك الجواب في كلمة واحدة هي.. التقليد.. تقليد المتقدمين من شعراء الغزل في الأدب العربي الذي تهيأت لهم الأسباب حقا.

مثل هذا (الشاعر) نجده قد قرأ كثيراً لشعراء الغزل الأقدمين، وقرأ كثيراً من قصص الحب وحكايات المتيمين قديما وحديثا، ففهم مدلول ذلك نظريًّا وأصبح ـ تبعا لذلك ـ يجيد كيف يتشبب ويتغزل، وكيف يتودد إلى الحبيب الموهوم، وكيف يتأوه ويشكو حرقة الفراق. ولا ننكر أن كثيرا من أمثال هذا النوع قد يجيدون فنهم اجادة تامة حتى ليخيل إليك أنهم يصدرون في ذلك عن فؤاد مكلوم وقلب معنى. إن مثل هذا النوع هم ـ بدون نكران أيضاً ـ شعراء نظريا، كما قلنا، ولكنهم في حقيقة مفهوم الشعر، ليسوا شعراء.

وإنك لتعجب ـ وهذا مثل ثانٍ ـ لشاعر يوغل في وصف محاسن الطبيعة من خرير المياه وانسياب الجداول، ومن تغريد العنادل أو نوحها، وتبادلها الأفراح والأتراح بلغتها الخاصة، ومن تقبيل النسيم للزهور في أماسي أيار وتضوع شذى هذه الزهور ـ بعد تفتحها ـ وانتشار عبقها حواليه.. إلى غير ذلك مما لا يتوائم مع البيئة التي درج في ربوعها هذا «الشاعر».

وجميع الشعر الوجداني لدى «شعرائنا» شعر اصطناعي مخادع أملته المحاكاة، فهو لم يصدر عن الوجدان نفسه.. فإذا علمنا أن مثل هذا الشعر لدى الشاعر الحق يمثل في دنيا الأدب والنقد، الشعر كل الشعر، أدركنا تواً أن الشعر فن يفتقر إليه أدب بلادنا المعاصر، وأدركنا بالتالي أن لا وجود للشعراء لدينا.

وتعجب ـ من بعد ـ أن يعمد كاتب إلى تقديم شيء من الدراسة لنتاج بعض «شعرائنا» ولمناحيهم الفنية، فيصف هذا بأن شاعر كلاسيكي وذاك بأنه رومانسي وثالثاً بأنه يجنح إلى الواقعية، ورابعاً بأنه سريالي، وهكذا يذهب به الاسترسال المفزع إلى حد أن يجعل المذاهب الأدبية جميعها متمثلة في نتاج هؤلاء.. مع أنهم ما كانوا يصدرون في أشعارهم عن فيض شعري كامن في الأعماق.

إن مثل هذه الأحكام تمثل طفولة فكرية ولا شك، وماكان يجدر بأحكام نقدية كهذه أن تصدر جزافا قبل أن يوجد ذلكم الشعر الذي يصح أن نلبسها اياه.

مرة أخرى، نقول مكررين، إن الشعر يعني الشعور، مصدره الذات ومعينه التجربة، وإلا فهو لغو من القول وعبث من الكلام.

اليمامة/ العدد ٣ في ١٣٨٣/١١/٢١هـ.

كلمة اليمامة:

هذا الجهل الفاضح.. من المسئول عنه؟

كثيرا مايرد إلى هذه الصحيفة مقالات، جيدة الفكرة، سامية الغرض، مكتملة لعناصر الموضوع، وأصحابها قد بلغوا شأوا لا بأس به من حيث الدراسة «الرسمية» . . إلا أن ظاهرة مؤلمة، تبعث على الأسف والحسرة، تكاد تنتظم هذه المقالات، فتذهب بقيمتها وتفقدها كثيرا من مقومات الأصالة. وأعني بذلك رداءة لغة كاتبيها وعدم احاطتهم حتى بأبسط قواعد الاعراب والاشتقاق وتركيب العبارة.

والمشرفون على تحرير هذه الصحيفة، لا يسعهم ازاء جودة الفكرة ونبل الهدف في المقالة، إلا نشرها بعد أن تكون قد أخذت معهم جهدا قاسيا في تصحيح المعوج منها لتستقيم مع قواعد النحو والصرف والمعاني والتركيب اللغوي.

وقد سألت نفسي يوما: لماذا بلغت الاستهانة بلغتنا إلى هذا الحد؟ ولماذا يجهل الكثيرون منا هذه الأمور الضرورية؟! . . ولماذا نعجز عن كتابة مقالاتنا بلغة صحيحة خالية من الشوائب؟! . . ومن هو المسئول الأول عن هذا المستوى المؤسف الذي يعيشه شبابنا المتعلم مع لغته في شتى فروعها؟!.

قد لا يكون حظ مدارسنا من مناهج اللغة العربية حظا ضئيلاً ومحدوداً وغير واف بالحاجة. . ولكن سوء الطريقة التي نوصل بواسطتها المفاهيم اللغوية إلى أذهان طلاب هذه المدارس هو لب المشكلة، وهذا يشمل تأليف كتب التدريس في فنون اللغة وعدم قدرة بعض مدرسي اللغة على غرس الروح اللغوي في نفوس الطلاب ليكونوا مهيئين لاستيعاب مايلقى عليهم، كما يشمل أيضاً عدم اتباع الطريقة الفضلى في القاء المادة عليهم على ضوء من نظريات التربية الحديثة وعلم النفس.

ونتيجة لذلك أصبح طلابنا لا يرون في دراسة قواعد اللغة العربية مزيد فائدة بالنسبة لحياتهم ومستقبلهم، فصار التهاون بها شيئا مألوفا لدى الكثيرين منهم.

حدثني أستاذ، كُلف هذا العام بتدريس اللغة العربية بإحدى المدارس الثانوية، أن بعضا من تلامذته في المرحلة التوجيهية ـ نعم في المرحلة التوجيهية ـ لا يكادون يدركون الفرق بين «الفاعل» و «المفعول به» ولا بين أثر «لم» و «لن» عندما تتقدم احداهما الفعل المضارع! فأين إذن ذهبت مجهودات سنوات طوال قضاها هؤلاء الطلاب على مقاعد الدرس والتحصيل؟! وحدثني هذا الأستاذ أيضاً أن احد طلابه هؤلاء سأله يوما: هل القواعد ـ يقصد النحو ـ ضرورية في الامتحان؟.. ولماذا لا تلغى من المنهج؟! فما كان من الأستاذ إلا أن أجاب هذا الطالب «النجيب» بلهجة ساخرة يائسة قائلا: أبدا، إنها ليست ضرورية، والأحسن لو الغيت اللغة العربية جميعها من المنهج!.

ولك ـ أيها القاريء الكريم ـ أن تعجب أكثر وأكثر، إذا علمت أن كثيراً من أبواب النحو يعاد تدريسها ـ سنة بعد أخرى ـ في سنوات الدراسة المتتالية.. فالفاعل ـ مثلاً ـ يدرسه الطالب كل سنة، ابتداء من الصف الرابع الابتدائي حتى نهاية المرحلة الثانوية، ويؤدي فيه امتحانا ـ بصورة ما ـ ومع ذلك كله فليس للطالب حظ من معرفته سوى الجهل المفزع المخيف.

كلمة أوجهها إلى وزارة المعارف، ولا شك في أن كثيراً من رجالاتها يدركونها حق الادراك، وهي أن المنهاج الذي تسير عليه المدارس في دراسة اللغة العربية، هو منهاج غير عملي، ومن الخير أن تعيد الوزارة الجليلة النظر فيه، فتعمل على وضع مخطط سليم جديد تسير على هداه في تدريس هذا الجانب الأساسي من حياتنا الثقافية والأدبية والعلمية، وأن يتناول هذا المخطط ـ بطبيعة الحال ـ تأليف الكتاب المدرسي وطريقة التدريس ذاتها وكيفية اختيار المدرس المناطة به مهمة التدريس، إلى غير ذلك من الأمور الجذرية.

وإن لنا من اخلاص القائمين على شؤون العلم والمعرفة في هذا البلد، ومن غيرتهم على لغتهم مايدفعنا إلى هذا الكلام.

اليمامة/ عدد ٧ في ١٣٨٣/١٢/٢٦هـ.

فكرة انشاء مجمع لغوي في بلادنا.. سابقة لأوانها

لماذا لا تتوفر الجهود العربية لانشاء مجمع عربي موحد؟

دعا بعض الكاتبين مؤخرا، إلى إنشاء مجمع لغوي في بلادنا على نمط ماهو موجود من مجامع في بعض الأقطار الشقيقة، كما أشارت بعض الصحف إلى أن وزارة المعارف بدأت تفكر في هذا الموضوع وفي اخراجه إلى حيز التنفيذ.

ولا أشك أن الفكرة عظيمة في حد ذاتها.. إلا أني أود ـ هنا ـ مناقشة الذين كتبوا حول هذا الموضوع، ومن ورائهم وزارة المعارف، في أمور تتصل بهذا الأمر. وعسى أن أجد في رحابة صدورهم وفي حسن ظنهم مايمكنهم من مناقشة رأيي مناقشة علمية تقوم على الفائدة والحقيقة المجردتين.

١ ـ معظم الذين قالوا بوجوب انشاء مجمع لغوي في بلادنا كانوا مدفوعين بعامل العاطفة الناشئة من حبهم لبلدهم وغيرتهم عليه.. فهم يقترحون انشاء مجمع لغوي في بلادنا، لأنها مهد العربية، ولأن غيرنا قد انشأوا مجامع لغوية ولأنه لا يجدر بنا أن نتخلف عن هؤلاء..

إن العاطفة خصم ألد للحقيقة وإن إنشاء مجمع لغوي في بلادنا إنما هو تكرار، لا مبرر له، للمجامع المنشأة في الأقطار الأخرى، وكثرة المجامع في المجال اللغوي، تعني اختلاف طرائق الاستنتاج من مجمع إلى آخر، الأمر الذي سيسبب ـ حتما ـ ارتباكا في مفاهيم اللغة العصرية لا تحمد عقباه.

لماذا لا تتبنى وزارة المعارف فكرة توحيد المجامع العربية في مجمع واحد يمثل فيه أساطين الفكر واللغة والآثار وذوي الاختصاص الآخرين في العالم العربي، ويكون هذا المجمع الموحد مرتبطا بجامعة الدول العربية ـ مثلا ـ ولا يقتصر نشاطه على قضايا اللغة العربية بل يشمل مجالات علمية أخرى وتلزم كل دولة

بتنفيذ مقرراته؟!.

٢ ـ المجامع، في أي بلد، تمثل القمة في عالم المعرفة والتخصص. فهل صعدنا إلى هذه القمة؟.

دعونا نبدأ من السفح.. من المدرسة الابتدائية.. دعونا نهتم بلغة المدرسة، فنضع المنهاج السليم، ونؤلف الكتب للتلاميذ بلغة مستقيمة، ونخلق في نفوس أبنائنا حب اللغة والتشوق إليها وإلي دراستها.. أوجدوا المدرس الكفء الصالح لتلقين أبسط قواعد اللغة.

خير لوزارة المعارف أن تهتم باللغة في المدارس والمعاهد، والجامعة أيضاً ـ قبل أن تفكر في إنشاء المجامع.. خير لها أن تهتم بالفرض قبل النافلة.. وأن تهيء امكانياتها للضروريات.. أما الأمور الثانوية ـ كإنشاء المجامع ـ فإن دورها لم يحن بعد.. وعلينا الانتظار به لحين الوقت المناسب. وثمة فإن انشاء مجمع لغوي لدينا سيجد طريقه تلقائيا.

٣ ـ لو سلمنا جدلا برأي القائلين بانشاء مجمع لغوي في بلادنا في الوقت الحاضر.. فمن ـ ياترى ـ سيتولى أمره؟!. إن مهمة المجمع مهمة خطيرة وجسيمة، وليس في مقدور أي متشبث بهوامش اللغة والأدب أن ينهض بهذا العبء العلمي الكبير.. وليس لدينا ـ على وجه الاجمال ـ من هو في مستوى كرسي المجمع، بل نحن نجد أنه إذا شغرت احدى مقاعد العضوية في مجمع ما من المجامع العربية الحالية، أن هذا المجمع يجد صعوبة كبيرة في العثور على من يملأ هذا المقعد.. ومعلوم أن أولئك يفوقوننا في علمائهم ومفكريهم كماً وكيفاً.

إذا كان يوجد لدينا ثلاثة أو أربعة من الأفذاذ الصالحين لعضوية المجمع فمن أين لنا بالعدد الباقي وهو الأكثر؟. هل نجلب لمجمعنا المقترح أعضاء من الخارج؟!. لنعمل ـ أولا ـ على خلق البيئة الصالحة لقيام المجامع.. ثم ـ بعد ذلك ـ لنفكر في انشاء ذلكم المجمع.

إنني أشك كثيراً في أن «بعض» الداعين إلى انشاء مجمع في بلادنا قد فهموا مهمة المجامع على وجهها الحقيقي، وأن أشد ما أخشاه هو أن يكون تصور هذه المهمة فوق مستوى هذا «البعض».

وإنني أخيراً لأتمنى من قلبي أن أرى ذلك اليوم الذي نكون فيه قد أصبحنا مؤهلين وجديرين بإنشاء مجمع في بلادنا.

اليمامة/ عدد ٩ في ١٣٨٤/١/١١هـ.

الأدب الشعبي.. ماذا يعني هذا التعبير!؟
وماهي المميزات الخاصة بهذا النوع من الأدب

شاعت مؤخرا في تاريخ الأدب العربي الحديث، عبارة «الأدب الشعبي» . . وقصد به ما أنتجته أفكار العامة وقرائح السواد من جيد الرأي وروائع الحكم وخصب الخيال وبراعة الفن في صورة شعر أو أمثال أو أساطير أو ملاحم بطولية .

والواقع الذي لا ماشادة فيه أن الأدب الشعبي قديم العهد، وإن كان لم يكتسب هذه التسمية ولم يأخذ صفة مستقلة إلا في السنين الأخيرة، وما قصص ألف ليلة وليلة وأضرابها، إلا من ذلكم القبيل . . ولو ذهبنا ـ في غضون مؤلفات الأقدمين ـ نستقصي الأمثلة على أن الأدب الشعبي عرف منذ قرون، لطال بنا المقال، ولشطح بنا الاطناب بعيداً عن الغرض الأساسي في الموضوع . . ! .

والناس في مصر وسائر البلاد العربية الشقيقة، يطلقون لفظ «الشعبية» على كل ماهو في متناول الفرد العادي تقريباً أو ما من شأنه أن يكون خاصاً بالطبقات الدنيا منهم . فهم ـ مثلا ـ يقولون : هذا حي شعبي، يريدون أن قاطنيه جلهم من تلك الطبقات المتوسطة أو دون المتوسطة ـ من حيث الحياة المعيشية ـ ويقولون : مقهى شعبي بمعنى أن أكثر رواده هم من الفئة الكادحة البائسة، وليسوا من ذوي الجاه والثراء، ويقولون : طعام شعبي، أي مألوف متوارث لا يكاد يتناوله إلا من يقصر باع كسبه عن الترفع عنه.أما أولو المال والجاه فغالبا ماتكون موائدهم غاصة بأنواع الطعام الأخرى التي جلبها الاتصال بالعالم الخارجي المتمدين! .

وهكذا درج الناس ـ في هذا العصر ـ على هذا اللفظ، حتى بات علما على كل ماهو في ميسور كافة السواد الأعظم، وما ألفه هؤلاء البشر من أبناء البلاد .

ولما كان أعيان «الأدب الشعبي» ورجاله، في الغالب، من هذه الفصيلة، وكان هذا اللون من الفن يلقى رواجا منقطع النظير لدى الأوساط الشعبية، فقد راق لكتـاب الأدب الفصيح ومؤرخيه أن ينعتوا أولئك بالأدباء (الشعبيين). . وهي ـ فيما أعتقد ـ تسمية في الصميم وإن كان فيها نظر.

ولا أحسب في شيء، أحداً من أولئك الذين يرون في هذه التسمية تجنيا على الأدب أو مساً من مكانة الأدب الواقعي الملتزم. !

وكما هو معروف أن الأدب، أي أدب، صورة حية للواقع ومثال ناطق بما كان عليه الناس وترجمان حق للحياة العامة بما فيها من خير وشر، أمل وألم، علم وجهل، غنى وعدم، فإن نعت الأدب المستمد من واقع الناس وأعماق المجتمع بالشعبية، أمـر لم يتجـاوز المفهـوم العرفي، وليس فيه غضاضة ما. . بل على العكس من ذلـك تماما فإن أدب الشعب لم يكن غير عصارة قلوب آلمتها الحياة العابسة وهمزتها المتاعب القاسية، فأنبثقت منها تلك الأفكار الواقعية البعيدة عن دنيا الأوهام والخزعبلات بله مايحويه هذا الأدب من ذوق رفيع وتصور دقيق لا يقلان فيه عن الأدب الفصيح.

والأدباء الشعبيون ـ بعد ذلك ـ يتحدثون إلى الناس بلغاتهم الخاصة القريبة إلى مداركهم، ويخاطبون الجماهير بحسب مصطلحاتهم العقلية، فهم (الزاميون) بالطبع. !.

ورسالة الأديب الشعبي ـ لو أدركها حق ادراكها ـ تسمو على كل رسالة في عالم الأدب، لأنه ألصق بالدهماء وأقرب إلى أوساط بني جلدته. ومادته الأساسية التي يغترف منها بنات أفكاره ويستوحي نظراته وأحاسيسه إنما هي مجتمعه الذي يعيش في كنفه!.

وقد كان الأدب الشعبي إلى الأمس القريب ـ كامناً في طي النسيان والاهمال

وحظه من الدرس والنقد غير مذكور، بيد أنه ـ أخيراً ـ بدأ يظهر على مسرح الأدب ويأخذ نصيبه من جهد الأدباء وأقلام النُّقَدة، فتناولوه دراسة وتمحيصا وأولوه من النقـاش والنظر قدرا لا بأس به. . وإن كانت تلك الدراسات لايزال ينقصها بعض الأسباب!.

قلت: إن الأدب الشعبي كالفصيح في أصـولـه ومناهجه وأغراضه، وأن الأول لا يقل عن الثاني نضجا وحيوية، بل يزيد عليه بأنه إلى الواقعية أميل.

والحق أن في الأدب الشعبي صوراً إنسانية ولفتات فلسفية لا يستهان بها. . ويصدر الأدب الشعبي عن طبع وسجية مرسلة. والشاعر العامي أبعد مايكون عن التكلف في خواطره واجترار العبارات التي لا يستسيغها منطقه، فإنك غير واجد فكرة مّا أرسلها هذا الشاعر دون أن يكون لها دافع شعوري أملاها عليه وصـدى نفسـاني أوجب بروزهـا ناطقة جائشة. . ولعل في ذلك شيئا من سر التسمية. . فإن تصوير بيئة الشعب وواقع الحياة أهم مايتسم به المجهود الفني للشاعر الشعبي.

والاستيحاء من عالم الحياة المحيطة مادة أساسية في فن الأدب العامي أو الشعبي، فالخلاصة أن الطبع والواقعية ميزتان يبدو بهما الأدب الشعبي على هيئته الحقيقية، والأدب في ماهيته ليس في الحقيقة سوى طبع فائض وواقعية مصورة!.

(*) اليمامة عدد ٦ في ١٩/١٢/١٣٨٣هـ.

توارد الخواطر.. في الأدب الشعبي

ألمعت في مقال سابق إلى مايضمه الأدب الشعبي من جودة المعاني وسمو الأفكار وروعة الخيال وبعد التصور. . وليس من عجب في الأمر فإن هذا الأدب لا يعوقه عن الوقوف في صف الأدب الفصيح سوى مشكلة اللغة، وأسميها مشكلة من باب المجاز، فإننا لو أرخينا حبل الفلسفة قليلا في الموضوع ووسعنا دائرة النقاش لما رأينا في ذلك مشكلة؛ إذ قد يجيز رأي مّا أن نعتبر العامية ـ مثلا ـ لغة قائمة بذاتها. . وثمة نخرج من هذا الحرج!. . فإن كثيرا من الحكم والأخيلة والتصورات التي نلمسها في شعر امريء القيس وطرفة والأعشى واضرابهم من الشعراء الجاهليين، ندركها بعينها في شعر حميدان الشويعر وعبدالله الفرج وابن سبيل والعوني من شعرائنا الشعبيين. . . بل إننا ـ أحيانا ـ نجد في شعر هؤلاء معاني يكاد المرء يقطع جازما بأن الواحد منهم سرقها عنوة من أولئك المتقدمين ونسبها إلى نفسه في وضح الحقيقة.

ولكن. . ومادمنا نؤمن ببدهية «توارد الخواطر» من جهة. . وبمدى حظ هؤلاء من العلم والمعرفة من جهة أخرى. . فإنه لا يخالجنا أدنى ريب في أصالة شاعريتهم وأن تلك المعاني لم تكن من غير صنيع قرائحهم.

أما توارد الخواطر، فقد عرفها تاريخ الأدب العربي القديم، وحام حولها نقاد الأدب وجالوا بنظراتهم ويراعاتهم فيها طويلا، وكانت النتيجة أنها باتت «حقيقة» لا مندوحة حقا من الاعتراف بها، وأنها شيء والسرقة شيء آخر.

وبحكم كرور الأيام وتعاقب الملامسات والمناسبات، ورد على لسان أكثر من شاعر واحد معاني موحدة أو متشابهة إلى حد ما. . وقد فطن لذلك الشاعر القديم عدي بن الرقاع حين قال:

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

وزهير بن أبي سلمى في قوله:

ما أرانا نقول الا معارا أو معادا من قولنا مكرورا

وعنترة الفوارس في مطلع معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم؟! أم هل عرفت الدار بعد توهم؟!

فلا غرابة - بعد هذا - أن يأتي شعراؤنا الشعبيون بمعاني سبقهم إليها الأقدمون، وأن يضمنوا بعض أبياتهم الشعرية آراء وأفكار فلسفية إكتشفتها مواهب شعراء العصور الأولى.

وأما حظ شعرائنا الشعبيين من الثقافة الأدبية؛ فقضية مؤلة. ذلك أن أكثر هؤلاء كانوا أميين لا يقرؤون ولا يكتبون.. ولذا كان جهلهم بالأدب العربي القديم أمراً طبعياً، وليس لدى أحدهم أدنى المام بشيء من نتائج فحول الشعر الفصيح!.

وتبعا لذلك.. فليس من المحتمل كلية أن يعمد هؤلاء إلى ادعاء شيء من بنات أفكار غيرهم لأنفسهم.. وإن ماقاله شعراؤنا الشعبيون من تلك المعاني ليست سوى فيض الخاطر وعفو البديهة.. وتعتبر بالنسبة لهم طرية يكسوها طابع الجدة والحداثة.

ولعلك - ياعزيزي القاريء - في شوق ملح لمعرفة شيء من النماذج التي تفصح عن بعض المعاني التي سبق إليها شعراء آخرون.

من ذلك - ياصاحبي - قول محمد بن لعبون:

ضحكتي بينهم وأنا رضيع ماسوت بكيتي يوم الوداع!

يقصد الشاعر أن الفرح الذي يقترن عادة بميلاد الطفل لا يعادل الأسى الذي يصحب غروب الحياة في ساعة الموت.

وهذا هو معنى قول أبي العلاء المعرى:

إن حزنـا في ساعـة المـوت أضعـا ف سرور في ساعـة المـيـلاد!

ولو وضعنا البيتين في كفتي ميزان النقد والمقارنة لاقتضى الحق أن يرجح كفة البيت الأول وأن نفضل بيت ابن لعبون على بيت المعري. . فقد لطف الأول من المعنى وأصاب في غرضه المحز. . فهو ـ إذن ـ أحق باحتضان الفكرة من فيلسوف المعرة!.

وقال ابن لعبون أيضاً:

والعبـد عبـد هافيـات عمـوقـه إن جاع باق عمومته وإن شبع ماق!

(هافيات: ناقصات، باق: سرق، ماق: بطر).

المعنى: أن العبد ناقص الرجولة، فهو يسرق أسياده إن جاع ويأخذه البطر إن شبع، وهذا المعنى يشبه ماقاله «مسكين الدارمي» ـ من شعراء العصر العباسي:

وإذا الـفـاسـق لاقـى فاسقـا فقـديـما وافـق الشـن الـطبـق!

إنـما الـفـسـق ومـن يعـتـاده كحـمـار الـسـوء ماشـاء نهق!

أو كعـبـد الـسـوء إن جوعتـه سرق الجـار وإن يشـبـع فسـق!

ونشير ـ أيضاً ـ إلى أن هذا المعنى ورد في شعر حميدان الشويعر. وهو قوله:

وبـالـعبـدان من هو دون عمـه وداشرهـم فلا يسـوى حماره!

يمـوق إلى شبع وإن جاع يسرق وكـيـفـاتـه إلى شم (الـكـتـارة)

(دون عمه: يقوم مقام سيده، الداشر: الفاسد الأخلاق، يموق: يبطر، كيفاته يقصد طربه، إلى: إذا. الكتارة: رائحة الشواء وهي كناية عن البطر والفسق).

ومن حق الناقد أن يقول رأيه حرا صريحا، وأعتقد أن ابن لعبون قد فاق الشاعرين معاً بحسن سبكه للمعاني وصبها في قالب فني بديع.

ويقول حميدان الشويعر من قصيدة قالها عندما قدم قرية (البير) فلم يحسنوا ضيافته:

مادريت أن الدويفة طريفة لين جيت البير جعله مايسيل!

(الدويفة: دقيق الذرة يداف بالماء بعد حمصه، طريفة: لحم، لين: حتى، يقول: ماكنت أحسب أن دقيق الذرة كاللحم في أهميته حتى قدمت بلدة البير لا سقاها الله السيل. . وهذا المعنى يذكرك بقول الحطيئة الشاعر المعروف:

ماكنت أحسب أن الدخن فاكهة حتى نزلت بحي آل عمار!

وانظر لقول شاعرنا الشعبي الآخر:

أزكى الشعر ماقاله أزكى الرجاجيل واردا الشعر ماقاله القين وأول

فإنه بعينه معنى قول الفرزدق:

وخير الشعر أكرمه رجالاً وشر الشعر ما قال العبيد

وتأمل قوله:

أمي وأبوي اللي رموني بالأسباب ياليتها بعد الحمال أسقطت به

فإن فيه رائحة من قول المعري:

هذا جناه أبي عليّ (م) وما جنيت على أحد

بل زاد شاعرنا على المعري بتمنيه اسقاط أمه حين حملت به.

اليمامة/ عدد ١٠ في ١٨/١/١٣٨٤هـ.

دراسة تحليلية:

لبعض الأغراض الشعرية في الأدب الشعبي

سنحاول في هذا المقال المقتضب، دراسة بعض أغراض الشعر العامي على ضوء النماذج التي اخترناها لذلك.. ولا يختلف الشعر العامي في أغراضه عن الشعر العربي الفصيح، ففيه وصف وتصوير، وفيه مدح ورثاء، وفخر وهجاء، وسنعرض هذه الأغراض مع نماذجها في دراسة تحليلية مقتضبة شاملة لأهم عناصر الدراسة الأدبية:

الوصف:

عرف الشعر العامي النجدي الوصف كغرض له قيمته الفنية. وقد جاء وصف شعرائنا الشعبيين تصويرا صادقا للبيئة التي عاشوا في كنفها، وفكرة مطابقة للحياة المحدقة بهم.. كوصف البادية وما يحيط بها من معالم القفار والطبيعة وما تستلزمه من الرحيل والضعائن ونشدان مواقع الغيث ومعرفة سير الأنجم وتتابع فصول العام، والخبرة التامة بطبيعة الأرض ومسالك البرية الشاسعة.

وبين يدي ـ الآن ـ قصيدة وصفية لشاعر متأخر، أما القصيدة فليست من جيد هذا الشعر ولا من سقطه، ولكنها من وسطه ـ والوسط مقياسي النقدي أبدا ـ وهي تصور أحوال البادية في حلها وترحالها. وأما الشاعر فهو عبدالله بن سبيل المتوفى سنة ١٣٥٧هـ أحد شعرائنا المجيدين، ومن قرية (نفي) بعالية نجد، وكانت الامارة فيها له ولأسرته، ولشعره صيت ذائع وشهرة بعيدة، وبالرغم من كونه حضري الاقامة إلا أنه بدوي التفكير والهوى والعاطفة، وهذا ـ طبعا ـ راجع لكثرة معاشرته للبدو ـ وخاصة (عتيبة) التي كانت (نفي) أحد الموارد التي تجمع شتاتها في فصل الصيف الجاف.

وأما أبرز غرض نظم فيه شاعرنا، فهو التشبيب بالبدويات، ولكنه من ذلك النوع العفيف المعروف بالغزل العذري، كما أن له بعض أماديح قالها في بعض الحكام. ووصفه لأحوال البادية وعاداتها وغزلانها ـ وهذا مايعنينا ـ في غاية من جودة الحبك والرصانة ودقة التعبير والمعنى.. الأمر الذي بزّ به كثيرا من الشعراء.

وهذه القصيدة التي نتناولها بالدرس والتمحيص صورة واقعية لحياة الصحراء التي يعيشها البدو.

يبدأ الشاعر قصيدته بدعواته على ليالي الربيع بعدم السقيا، لأن في الربيع تتفرق جموع البادية بحثا عن الكلأ ومواطن العشب.. فقال:

الله لا يسقي ليالٍ شفاشيف
أيام راعي السمن يخلص ديونه
فراق شمل أهل القلوب الموالف
وكل على رأسه يباري ظعونه
والى نشد عن واحد قبل ماشيف
أزروا هل القعدان لا يذكرونه
الشيخ كنه صايل يتبع الريف
يأخذ أسبوع البيت مايبتنونه
يتلون مشهاة الأبكار المشاعيف
وكل يبي قفره قدم يسهجونه

ويدعو بالسقيا لأيام الصيف التي تختفي فيها السحب ويبعد ندى الأرض وتغور المياه في الآبار، ويجف النبات وتذروه الرياح هشيما ويخلف الراعي مواعيد ورده وشربه من قربته.. وفي كل هذا مايحمل البدو على الأوبة إلى موارد المياه، فيبنون بيوتهم وتستقر ظعائنهم في رحاب القرى ـ ومنها نفي بلد الشاعر ـ ويقضي كل منهم وطره، وتستمر اقامتهم هذه ثلاثة شهور تظهر بعدها دلائل الرحيل

ماثلة في نجم سهيل والقادمين من جهة الغرب المخبرين بمواقع الحيا والقطر. .

فيقول:

سقوى إلى جت نفضة الجزو بالصيف
وأبعد ثرى نقعه وكنت مزونه
والعشب تلوي به شعوف من الهيف
والشاوي أخلف شربته من شنونه
وجتنا جرايرهم تدق المشاريف
البيت يبنى والظعن يقهرونه
وتقاطروا مثل الحرار المقاييف
وراعي الغنم عن مرحهم يقهرونه
وتواردوا عدٍ شرابه قراقيف
العد لو هو بالفضا يشحنونه
وكل نصا القرية يدور التصاريف
واللي له أحباب لباب يجونه
وتسعين ليلة جانب العد ما عيف
ولا للشديد مطري يذكرونه
وهبت ذعاذيع الوسوم المهاريف
وسهيل يبدى مابدا الصبح دونه
وجاهم من القبلة ركيب مواجيف
وحضور يوم إن النخل يصرمونه

ولا تكاد هذه الدلائل والأنباء تطرق أحياءهم، حتى يسرعوا في لهفة وشوق لشد الرحيل وحتى أنهم ليقطعون الرأي وهم يتداولونه مبادرة في الرحيل، فلا يطل عليهم فجر الغد باشراقته إلا وقد طوت ذوات الهمة من نسائهم البيوت ـ بيوت الشعر ـ كما هبوا مع الصباح الباكر لسقي ابلهم وأغنامهم قبيل تسريحها

أخذا للأهبة والاستعداد للضرب في آفاق الصحراء:

والـعصر بالمـجـلس مضـال وتـواقـيف
وأمـسـوا وتـالي رأيهـم يقـطعـونـه
والـصبـح طون البـيـوت الـغـطاريف
و (المـال) قدم طلاقـتـه يصـبـحـونـه

ومضت قوافلهم تطوي صفحات الفيافي وراء المراعي هنا وهناك، وبات مصيفهم ـ من بعدهم ـ قفراً تعوي به الذئاب:

وراحـوا مع الـريـد أوسـاع الأطـاريف
يذكـر لهم منـدى شبـيـع يبـونـه
(مـقـيـاظـهـم) خلي بليـا تواصـيـف
قفـر عليـه الـذيـب يرفـع لحونـه

فما أشد أسفي لفراقهم، مع ماكانوا يزعجون به القلب التائه ـ وكم أزعجوا متكبرا برماحهم وقد امتطوا صهوات خيولهم!:

أوي جيران عليـهـم تحاسـيـف
لولا أنهم (قـلب الخـطا) يشـعـفـونـه
وإلى تعـلّو فوق مثـل (الخـواطـيـف)
كم مايـق برمـاحـهـم يزعـجـونـه!

ولهم عودة وقت حلول المواسم، وهم أبداً رهن اشارة قائدهم، وترى جموعهم بين مغير وراجع من اغارته، وابلهم وأغنامهم منها ما يبيعونه ومنها ما يقتنونه فيسمونه بالكي ـ ولكل قبيلة ميسم خاص ـ وإذا قضوا لباناتهم رحلوا لا يلوون على أحد، غير آسفين على شيء، ينتجعون مساقط الأمطار ومراتع (الحلال):

ولهم على حل المواسم محاريف
وإلى جذب قايد يتبعونه
هذي مغاوير.. وهذي مناكيف
وهذا يبيعونه.. وذا ياسمونه
وإلى تقضوا ماعليهم تحاسيف
ومن أين ماطاح الحيا ينجعونه

هذه صورة حقيقية لحياة البادية صيفا وشتاء، وهي بعينها صورة الحياة البدوية في عصر ماقبل الإسلام، فملامح البيئة واحدة لم تتغير إلا في بعض النواحي «الشكلية» التي لا تمس صميم الحياة العامة والبدوي هو هو في فكره وشجاعته وكرمه وتتبعه لمواطن الكلأ ومساقط المطر منذ أقدم الأزمنة، وشعر شعرائنا الشعبيين لا يختلف في صوره وأخيلته ونظراته عن شعر الجاهليين، وهذه القصيدة أنصع مثل لذلك.. زد على ذلك أن جل شعراء ماقبل الإسلام كانوا من نجد، وأول قطر عربي عرف الشعر هو نجد كما أثبتت ذلك الروايات المتواترة.!.

هذا ولحميدان الشويعر قصيدة يصف فيها رحلته من بلدة «الزبير» - بالعراق - إلى نجد، وقد تعرض فيها لأهالي القرى التي اجتاز بها في طريقه، بالذم والتجريح تارة وبالثناء والاطراء تارة أخرى فمدح قوما وهجا آخرين.. وقد جرت أبيات هذه القصيدة على ألسنة الكثير من أهل نجد لطرافتها وخفة الروح فيها... وهذه القصيدة مفتقرة إلى كثير من مقومات الوصف، علاوة على أنها أدخل في بابي المديح والهجاء، ولذا أعرضنا عن ايرادها هنا.

اليمامة/ العدد ١١ في ١٣٨٤/١/٢٥هـ.

ابن خلـدون والعـرب

يعتبر (ابن خلدون) ـ دون شك ـ أحد عباقرة الفكر العربي الأفذاذ الذين جاد بهم الـزمان . . ومقدمته الشهيرة تعد ـ دون شك أيضاً ـ مجموعة حصائل فكرية واجتماعية سابقة لأوانها . . ولعل تلك المقدمة كانت من أهم النوافذ التي أطلت منها أوروبا على الحضارة والحياة الحديثة . . ! .

ولقـد قيل كلام كثير في التشكيك بعـروبة ابن خلدون . . إلا أن تلكم المحـاولات التي جاء بها الشعـوبيون ـ في أحيان كثيرة ـ كانت محاولات يائسة خاسرة ولا شك، إذ لم يقدر لها أن تلقى آذانا صاغية حتى من أعداء العرب .

ولقـد كنت ـ قبل أيام ـ أقرأ بحثا لأحد الكاتبين العرب . . وقد استطرد صاحب هذا البحث في حديثه عن هذا العملاق العربي الكبير إلى حد القول بأن ابن خلدون ليس عربيا وإنه بربري الأرومة . . ! .

والحجـة الوحيدة التي يستند عليها هذا الكاتب في قوله هذا، هي نفس الحجة التي استند عليها مَنْ قبله . . وتتلخص في تحامل ابن خلدون على العرب في مقـدمتـه في أكثـر من موضـع، ووصفـه اياهم بالتـوحش والنهب والعبث والتخريب، وأنه ـ من ناحية ثانية ـ يتشيع للبربر، في مواضع أخرى، وهذا يدل على أنه ينتمي إلى الشعب البربري وأنه ليس عربي الأصل . . ومع أن هناك عدة اجابات تتظافر جميعها لاحباط هذا الاستنتاج الخاطيء، إلا أننا نقتصر هنا على ذكـر حقيقتـين تفنـدان ذلكم الاستنتـاج، أحـدهما تتعلق بابن خلدون نفسه والأخرى تتعلق بعصره الذي عاش فيه .

الأولى ـ أن ابن خلدون في تراثه الفكري والاجتماعي، وخاصة في المقدمة، كان يعتمد عند البحث والدراسة والتدوين على الطابع العلمي المجرد من أي اعتبار عاطفي، لقد كان يكتب بروح علمي فريد . ومن هنا قلنا عن مقدمته أنها

سابقة لأوانها . . فتحامله على فئة وتشيعه لأخرى ـ إن وجد ـ ليس مبعثه العاطفة اطلاقا .

الثانية ـ أن ابن خلدون عاش في تونس في وقت كانت فيه جحافل حافلة من بدو الجزيرة (بنو هلال) قد نزحت في موجة بشرية عارمة إلى شمالي أفريقية، وقد عبث هؤلاء في تلك البلاد واحدثوا كثيرا من الفوضى والاضطراب، ورأى ابن خلدون هذه الفعال بأم عينيه فتأثر لها كثيرا . . ومع أن الهلاليين هم قومنا وبنو عمنا ـ إذ هم من عرب الحجاز ونجد ـ وأن لهم الفضل الكبير في تعريب الشمال الأفريقي تعريبا كاملا، إلا أن القلم لا يستطيع ـ بحال ـ أن يعفي على فعلاتهم التخريبية . . والشيء الآخر، في هذه الحقيقة، أن ابن خلدون عندما أطلق كلمة «العرب» في مقدمته لم يقصد بها سوى «الأعراب» ـ أي البدو ـ .

فابن خلدون لا يتحامل على الأمة العربية التي أقامت تلكم الحضارات الشامخة الخالدة الممتدة من الصين حتى الأندلس، ولكنه يعني الأعراب وقد رأى الكثير من تصرفاتهم العابثة .

بل هو أيضاً ـ في مواضع أخرى ـ يلحق البربر أنفسهم بالأعراب في هذه الصفحات ويتحامل على البربر صراحة بأشد العبارات .

ولو أردنا أن نلخص رأي ابن خلدون في ذلك، لقلنا أنه يثني على المتحضرين وأهل الصنائع ـ عرباً وبربراً ـ وينال من أهل البداوة، ومنهم البربر.

وهذه هي احدى عناصر الفلسفة الاجتماعية لدى ابن خلدون .

اليمامة/ عدد ٢٠ في ١٣٨٤/٣/٢٩هـ.

عـود على بـدء:

وهـل لدينـا أدبـاء..؟

تساءلت ـ قبل أشهر ـ عن الشعر في بلادنا . . هل له من وجود؟ . . وهل لدينا من شعراء يمارسون القريض كما يجب أن تكون تلكم الممارسة؟! . . ولقد انتهيت في تسـاؤلي أو نقـدي لواقـع الشعـر عندنا، إلى أن كثيراً من مقومات الشاعرية الحقة يكاد يكون مفقوداً لدى معظم «شعرائنا» . . وإن لم يكن مفقودا لدى كلهم .

لقد كنت مقتنعا مما كتبته لأنه ـ وهذا اجتهاد ـ كان مستمدا من واقع يلمسه كل من أمعن النظر . . بل أن بعضاً من «شعرائنا» أنفسهم ـ أمثال الأستاذ ناصر بوحيمد والأستاذ مقبل العيسى ـ كتبوا، على ما أذكر، مؤيدين للرأي الذي قلت به . بل لقد زاد بعضهم في التأييد إلى درجة من المبالغة . . وهكذا شهد شاهد من أهلها .

والواقع أن ما قلته عن الشعر ـ والشعر جزء من الأدب ـ يمكن أن يقال أيضاً عن الأدب في بلادنـا بصفـة عامـة . . فإن هذا الأدب ما فتيء تنقصـه بعض المقومات ليصبح على نحو من «الأصالة» أو «الاكتمال» أو «الاستقلال» . . وبهذا فهـو يقصر الآن دون اعتباره أدبا حقا، يسمو في مفاهيمه، ويكبر في غاياته، وتمتليء به جوانب الحياة .

على أني لا أنكر، بهذا القول، أن بعض كتابنا قد وفقوا في كتاباتهم، أيما توفيق، ولا سيما كُتاب «المقالات» ـ وبالذات المقالات الصحفية ـ فإن هذا الفن قد قطع شوطا غير قصير في مجال النمو والتكامل، وإن كان لايزال مفتقرا إلى كثير من الأسباب ليصبح على مستوى يضارع مستواه في الأقطار العربية الأخرى .

إلا أن فنوناً كثيرة أخرى من الأدب الحديث لاتزال لدينا ـ بعيدة عن مقاصد الفكر والفن والحياة! .

لنأخذ ـ على سبيل المثال ـ فن القصة . . سواء كانت قصيرة أم طويلة . . ما هو حظ أدبنا منها؟ . . ومامكانها منه؟ .

إن ماكتب حتى اليوم، لا يعدو كونه تقليدا لما كتب من قصص بأقلام مشاهير القصصاصين في عالمنا العربي . . ذلك أن وقائعها وملامحها وشخوصها وموضوعاتها تبدو مستقاة من بيئات ليست بيئتنا من بينها . . إنها أفكار وأخيلة وصور اجتماعية وعاطفية مستوردة، فهي لا تحكي واقعا نعيشه ولا تعالج قضايا نعاني منها .

والقصص القليلة التي استمدها أصحابها من واقع الحياة والمجتمع هنا لا تعدو ـ هي الأخرى ـ كونها محاولات أولية في كتابة القصة، إذ أن العناصر الفنية للقصة من حبكة وأسلوب وطريقة عرض، تنعدم في أكثر مواقفها . . كما أن «العقدة القصصية» فيها والتي تمثل الذروة تبدو هينة تبعث على السأم ولا تشد إليها الأفئدة! .

ومثل ثانٍ . . المسرحيات . . ومأأدراك ما المسرحيات؟ أظنني ـ والظن هنا ليس اثماً ـ لا أجانف الحقيقة إذا قلت أنها لم يصبح لها ـ بعد ـ وجود في أدبنا، جملة وتفصيلا .

ومثل ثالث . . النقد الأدبي القائم على نظريات وأصول . . أن النقد لدينا ـ ونقولها دون مواربة ـ لا يزال لغواً وسقط قول، وتشهيرا وتهويشاً بين متخاصمين، لم تنتظمه المفاهيم الحديثة للأدب، ولم يسلك الطريق التي حددت معالمها المقاييس والمعايير العلمية والذوقية للفن والبيان .

تلك أمثلة لافتقار «أدبنا» إلى بعض الفنون الأدبية الهامة . . أفليست القصة

والمسرحية اليوم تمثلان القمة في عالم الأدب تماما كما كان الشعر ـ في القديم ـ يمثل القمة في عالم الأدب؟!.

أفتقول ـ بعد هذا ـ إن لدينا أدبا، متماسك العناصر، متكامل الأصول والفروع يستمد جذوره من أعماق حياة الناس والمجتمع، ويصدر عن اقتناع تام وعن عقيدة مكينة صافية نقية من شوائب العبث؟!.

وبالتالي.. أفنقول إن لدينا أدباء حقا؟!.

أخشى ألا يشطح بي الخيال كثيراً، لو أنني قلت إن «شهوة الكلام»، لدى «بعض» الكاتبين هي كل ما في الأمر. و «شهوة الكلام» ـ في حد ذاتها ـ تعني فراغا عقليًا ضخماً في حياة ذويها.

وأخشى ـ ثانيًا ـ أن يحمل إخواننا «الأدباء» هذا القول على غير محمله.. فإنه ـ على الأقل ـ مجرد رأي.. وأحسب أن احترام الرأي ـ أيًا كان ـ هو أحد أقانيم الفكر الصحيح في حياة هذا العصر.

ومن طرف آخر، فرب قائل يقول إننا في أول الطريق.. وهذا قول حسن.. وإننا لنتمنى أن تنتهي بنا هذه الطريق إلى الغاية المثلى.

فعسى أن نجد ذلك اليوم الذي يشمخ فيه الأدب عندنا برأسه عاليًا كريما.. فحاجتنا إلى الأدب لا تقل، بحال، عن حاجتنا إلى العلم.. فكل واحد منهما ـ الأدب والعلم ـ يمثل الجانب الآخر للحياة، وتلازمهما ضرورة قصوى.

اليمامة/ عدد ٣٢ في ٢٤/٦/١٣٨٤هـ.

من هو المكتشف الحقيقي لرأس الرجاء الصالح..؟

شهد القرنان التاسع والعاشر الهجريان حركة استكشافية لم يسبق لها مثيل، وحظي علم الملاحة فيهما بنصيب وافر من العناية والاهتمام.

ولعل عملية اكتشاف رأس الرجاء الصالح بواسطة فاسكو دي جاما أبرز حركة في تاريخ الملاحة البحرية في ذلك الوقت وما قبله.

ولسنا هنا بصدد التعرض لهذه الحركات أو بصدد تدوين شيء من تاريخ علم الملاحة، فلذلك مواضعه.. ولكن الذي يعنينا هنا أو الذي يلفت النظر عند دراسة تلك الحركات الملاحية هو أن العرب كان لهم دور كبير فيها، وخاصة في تلك الحركات الاستكشافية التي قام بها البرتغاليون والأسبان حول القارة الأفريقية السوداء.

بل الذي يعنينا بصفة أخص ـ أن ملاحاً نجديًّا قد اشتهر من بين أولئك العرب في ريادة ذلك المجال.. وهذا الملاح النجدي يقال عنه أنه صاحب الفضل الأول في الوصول إلى رأس الرجاء الصالح وأنه كان دليلا لفاسكودي جاما عند دورته بأفريقية.

وهذا الملاح اسمه شهاب الدين أحمد بن ماجد، وقد توفى في مستهل القرن العاشر الهجري «نهاية القرن الخامس عشر الميلادي».

وُلد (ابن ماجد) في نجد.. ولما شب عن الطوق يمم صوب السواحل الشرقية للجزيرة العربية طلبا للرزق. وهناك ركب البحر، ومارس الملاحة حتى أصبح، مع الأيام، أحد أعلامها المبرزين حيث أكتسب خبرة في مسالك الخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي والبحر الأحمر.

ويبدو أن «ابن ماجد» قد سار على سنن أبيه وجده في عشق الملاحة، فقد

كانا، هما الآخران، قد سبقاه من قبل إلى مزاولة هذا الفن. . وقد ألفا في ذلك بعض كتب. . غير أن صاحبنا هذا قد بزهما بتآليفه وبمغامراته، وقد طارت شهرته في آفاق البحار، وأصبح علما في فن الملاحة يشار إليه بالبنان.

ولابن ماجد هذا دراية تامة بعلم الفلك، تشهد بهذا أراجيزه الكثيرة التي خلفها لنا. . فهو يجيد الشعر. . وقد استفاد من هذه الموهبة في نظم الاراجيز والقصائد التي ضمنها خبراته وتجاربه في علمي الملاحة والفلك. وكان يلقب بأسد البحر، ولا شك أن هذا اللقب يعبر- على كل حال - عما كان يتمتع به من مكانة ونفوذ وقوة.

وتنسب إليه بعض الروايات اختراع الإبرة المغناطيسية!.

ومن مؤلفاته كتاب «الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» وأرجوزة «حاوية الاختصار في أصول علم البحار» وأرجوزة (بر العرب في خليج فارس) وأرجوزة في «النتخات لبر الهند وبر العرب». . الخ.

وقد عني الكثير من المستشرقين بمؤلفاته، وقد نشرت بباريس (١٩٢١ - ١٩٢٣م) عن نسخة مخطوطة كتبت سنة ٩٨٤هـ.

وتضم مؤلفاته ثروة عظمى من المصطلحات الملاحية والفلكية، الأمر الذي نحسبه مفيدا جدًّا للمعنيين بالتعريب في عصرنا هذا.

وممن كتب عنه من المؤرخين معاصره قطب الدين المكي المعروف بالنهروالي في كتابه «البرق اليماني في الفتح العثماني» عندما تحدث عن دخول البرتغال إلى الهند، حيث ذكر أن هؤلاء ظلوا في حيرة من طريق الهند إلى أن دلهم عليه شخص ماهر يقال له أحمد ابن ماجد، ويذكر هذا المؤرخ أن ابن ماجد قد صاحب «كبير الافرنج» وعاشره في السكر فعلمه الطريق في حال سكره «كذا!».

هذه فذلكة عن هذا الملاح، وقد كان بودي لو كانت الكتابة عنه وافية شاملة، إلا أنني أدع ذلك إلى مناسبة أخرى.

ومع هذه الفذلكة الموجزة، فلابد من كلمة نقولها عن هذا الشخص الذي وضع يده في أيدي القراصنة الغربيين.

لقد قدم «ابن ماجد» لهؤلاء خدمات كبرى لا تقدر بثمن، وهداهم إلى منافذ جغرافية ماكان حريا بهم أن يلجوها لولاه.. وهكذا أسهم في بسط النفوذ البرتغالي خاصة والأوروبي عامة على سواحل الجزيرة العربية وكثير من السواحل الإسلامية في أفريقية وآسية وإن لم يشعر بذلك على ما نظن.

ومن يدري فقد تكون ارشادات «ابن ماجد» لهؤلاء الأوربيين الذين كانوا يجهلون عالم الشرق سببا في هذه الحضارة الحديثة..؟!.

اليمامة العدد ٤٢ في ١٣٨٤/٩/٦هـ.

فقيد النقد الأدبي

ماشعرت بالأسف على أديب مثل ما شعرت به يوم نعت إلينا أخبار مصر وفاة الدكتور محمد مندور. . فقد عاش أمة في الأدب. . ومات أمة. . وكانت وفاته خسارة فادحة مُنِيَ بها النقد الأدبي الحديث.

عرفته ـ رحمه الله ـ في عامي ١٩٥٩، ١٩٦٠م محاضراً يأخذ بمجامع القلوب ويستهوي الأفئدة الظامئة. . عرفته وهو يلقي علينا خلاصة كده وبحثه في شتى فنـون النقد الأدبي، فألقى علينا في السنة الأولى محاضراته عن المسرح العربي الحـديث، وألقى علينا في السنة الأخرى، محاضرات تحليلية نقدية لمسرحيات شوقي وتوفيق الحكيم وعلي باكثير.

وكان في محاضراته بسيطا لا يبدو عليه فيها أي تكلف أو تصنع، متمكنا من مادتـه لا يكـاد يعـزب عنـه منهـا عازبة. . وكان، كما قلت، قريبا من قلوب تلامـذتـه، محبوبا منهم، أنيسا لديهم، وكانت النكتة المصرية السلسة تنساب تلقائيًّا على لسانه ـ بين حين وآخر ـ يطرد بها سأم الدرس وهمَّ الجد. .

وكان الرجل ذا مبدأ مستقيم، ورأي صريح، لم يجرفه عنهما أي تيار. . وكان مشهورا بالجَلَد والمثابرة على البحث والتحضير. . فكنتَ تعجب لهذا الرجل كيف يوزع وقتـه بين قراءاته وبحوثه ومحاضراته في المعاهد والجامعات المصرية وبين التفـرغ لمجـالسـة أسرته وأولاده. . أولاده الذين كان يطلق عليهم، من باب المداعبة، لقب «القبيلة» لكثرتهم. . !.

وخلف الدكتور مندور وراءه عدداً من المؤلفات القيِّمة، هي عصارة ذهنه وبحثه ودرسه، في نقد الأدب والشعر والقصة والمسرحية.

رحمه الله. . وخلف الأدب العربي فيه خيراً.

الرياض عدد ٢٠ في ١٣٨٥/١/٢٣هـ.

لندرس الأدب بتجرد

كثير من الكاتبين والمحاضرين، وسواهم من الناقدين، يحصرون دراساتهم وبحوثهم ـ عندما يتعرضون لدراسة أدبنا الحديث ـ في إنتاج من يسمون بالأدباء «الكبار» . . متناسين أدب الشباب الذي أخذ ينمو ويكتمل حتى وصل مرحلة من النضج والحيوية الفكرية وحتى أصبح كثير منه يبز انتاج أولئك «الكبار»! .

إن هؤلاء الكاتبين والمحاضرين يعيشون على الوهم والاتباع والمحاكاة والتقليد، ليس غير، لأنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء دراسة نتاج الشباب، ولو أمعنوا في هذا النتاج، وفي نتاج الشيوخ أيضاً، ثم قارنوا بينهما، لوجدوا أن أدب الشباب ربما فاق في بعض أوجهه أدب الكبار.

لقد تلاشت خدعة «الأدباء الكبار» ومضت إلى غير رجعة، وأصبحت العبرة بجودة الانتاج لا بلمعان الاسم وشهرته! .

وقد شهدت أيامنا الأخيرة جهودا أدبية فذة، يدعمها تطور فكري واجتماعي مستمر.

ولهذا، فحري بكل من يريد أن يكتب أو أن يحاضر أو أن يقول قليلا أو كثيراً عن أدبنا المعاصر ـ حري به أن ينعم النظر طويلا في هذا الأدب، وفي نصوصه وأن يدرس من خلال ذلك واقع الأدب دراسة مجردة وموضوعية وبعيدة عن أي تأثير وأعتقد أنه سوف يجعل لأدب الشباب ـ بعد هذا الفحص ـ النصيب الأوفى من التقدير والثناء، وسوف يحله محله اللائق! .

مرة أخرى، أقول: دعوا التقليد في القول والرأي أيها الدارسون، وأدرسوا الأدب دراسة مستقلة دون محاباة أو مجاملة أو محاكاة وإلا فإنكم تحفرون لدراساتكم ولأدب بلادكم حفرة الموت والعدم . ! .

الرياض / عدد ٢٨ في ٢/٢/١٣٨٥هـ.

نريده أدبا ناضجا متكاملا...

مع أنني قلت من قبل، إن أدب الشباب قد بلغ مرحلة طيبة من النضج والحيوية والتفكير، وأنه ربما فاق ـ في بعض أوجهه ـ أدب الشيوخ. . مع ذلك القول فإني أقول اليوم، إن الأدب لدينا ـ بوجه عام ـ لايزال في مؤخرة الآداب العربية المعاصرة الأخرى. . فأدبنا ـ بالنسبة لتلك الآداب ـ مافتيء يحبو، ومقومات انتشاره وذيوعه مابرحت قاصرة!.

والأدب، أي أدب، لا يُقدر له الذيوع والانتشار مالم تكتمل جوانبه ومالم تنتظمه العناصر الفنية والموضوعية، ومالم يكن صادرا عن احساس وشعور صادقين، ومالم تدعمه في نفس الأديب، ثقافة أو ثقافات متينة وواسعة.

إن المشاهد في بعض من ينتمون إلى القلم ـ لا كلهم ـ عندنا، أن كثيراً من أسباب الكتابة الصحيحة يفتقرون إليها، فترى كتابات هذا «البعض» لا تخرج عن كونها أساليب انشائية بارعة، ليس وراءها أية فكرة عميقة ولا أي احساس ذاتي!.

وليس العبرة بكثرة ما يُكتب وما ينشر، ولا بكثرة الدواوين الشعرية والمؤلفات النثرية، وإنما العبرة بقيمة ما يكتب وماينشر، وبجودة المادة العلمية والأدبية التي تضمها تلك المؤلفات.

وأدبنا ـ من ناحية ثانية ـ لايزال مفتقرا أشد الافتقار إلى الفنون الأدبية الحديثة كالأقصوصة والقصة والرواية بنوعيها وكالنقد المنهجي وأدب التراجم والتحليل النفسي وما إلى هذه الفنون. . فالأدب ليس فقط قصيدة أو مقالة. . وحتى القصيدة والمقالة مازلنا في منتصف السلم بالنسبة لهما. . !.

وإذا كان أدباء الشيوخ لدينا لم تسعفهم القدرة على خلق شخصية أدبية مستقلة لهذه البلاد، فما أحرى أدباءنا الشباب ـ شعراء وناثرين ـ أن يعملوا على

خلق تلك الشخصية وتحديد أبعادها ومعالمها وجعلها تقف جنبا إلى جنب مع شخصيات الآداب العربية الأخرى!!.

ولا أنكر ـ من بعد ـ أن الأدباء «الشيوخ» قد خدموا أدب بلادهم، فكانوا الطليعة وكانوا الرواد، ولهذا فإن لهم حق الاحترام والتقدير!.

الرياض/ العدد ٢٩ في ٣/٢/١٣٨٥هـ.

الأدب والصحـــافـة

هل جنت الصحافة على الأدب . . ؟! .

أكاد أجزم بأنه لا جواب لهذا السؤال غير «نعم» .

والدليل واضح وصريح .

إن الصحافة الحديثة ـ بما تهيأ لها من امكانيات ـ قد استطاعت أن تصرف عددا من الباحثين والأدباء عن كتابة البحوث العميقة في شتى فنون الأدب إلى كتابات صحفية هامشية لها طابع الاستعجال وعدم التركيز.

لقد أغرت الصحافة عددا كبيراً من الأدباء عندما إستكتبتهم . . وأمام هذا الأمر لم يتهيأ لهؤلاء الجو الملائم ولا الوقت الكافي لكي يكتبوا موضوعات جادة في فنون الأدب والنقد والبحث أو على الأصح لم تُرد الصحافة منهم ذلك.

الصحافة تريد شيئًا خفيفاً يقرؤه القاريء وهو راكب أو ماشٍ أو مستلقٍ على ظهره أو حتى وهو يتحدث إلى أحد . . ! .

ولهذا رأينا بعض هؤلاء، بعد أن كانوا يكتبون المقالات التي تستنفذ منهم جهدا جبارا وصبرا وجلدا على التنقيب ومراجعة المصادر، رأيناهم وقد أصبحوا يكتبون نوعا دارجا من المقالات مما اصطلح على تسميته بمقالات «الساندوتش»! .

إن الأدلة ـ كما قلت ـ جلية في أي صحيفة . . لا في بلادنا فقط وإنما في معظم الأقطار العربية .

إنـك واجد عدداً من الأدباء المبرزين، ممن حفل ماضيهم بأصالة الرأي وجـودة الفكـرة وعمق البحث وممن كانت لهم صولات وجولات في دنيا النقد

والأدب والتحقيق العلمي . . إنك واجدهم يكتبون في أمور ليست بذات بال ولا بذات موضوع وليس في طريقة بحثها ونقاشها طابع القوة والمتانة .

حقًا لقد جنت الصحافة على الأدب ! .

الرياض/ العدد ٥٩ في ١٣٨٥/٣/٩هـ.

لنحترم لغتنا

لا أدري، والله، لماذا نحن مغرمون بالألفاظ الأجنبية نستعملها في شئوننا.. كأن لغتنا لم تعد صالحة للاستعمال أو كأنها أصبحت قفرا من الألفاظ والمصطلحات المناسبة..؟!.

على أن استعمال الرجل العادي ـ أو رجل الشارع ـ لهذه الألفاظ، قد يكون مستساغا إذا ما قيس بما هو أدهى وأمر منه.

ذلك أن الأمر تخطى رجل الشارع إلى الدوائر والمؤسسات الحكومية.. ولنأخذ مثالا لذلك:

مؤسسة البترول والمعادن وضعت مصطلحا لها هو كلمة «بترومين» كما وضعت مصطلحا لشركة الأسمدة هو كلمة «سافكو».. ولست أعرف السبب الذي جعل المؤسسة الكريمة تحجم عن اختيار مصطلح عربي عندما وضعت بدلا منه مصطلحا أجنبيًّا.

إننا عرب أقحاح نعيش في قلب الجزيرة العربية، ومن العيب علينا أن نمتهن لغتنا إلى هذا الحد.

وإنه إذا جاز لفرد أو لشركة تجارية أن تقلد غيرها في الخارج فلا يليق إطلاقاً بمؤسسة حكومية أن تسير على هذا التقليد.

إن الهيئات العلمية والجامعات في البلاد العربية الأخرى تحاول الآن ـ بشتى الوسائل ـ تعريب العلم ـ بما فيه التعليم العلمي ـ فما بالنا ونحن ـ نمثل القلب من العروبة ـ لا نكون أول المبادرين إلى التحرر من ربقة العبودية اللغوية.

إنني إذ أقول رأيي هذا الذي يشاركني فيه كل مواطن، أتمنى من المسئولين في وزراة البترول التخلص من مثل هذه العبارات.. وما ذلك على همتهم بعزيز.

الرياض / العدد ١٩٢ في ١٦/٨/١٣٨٥هـ.

الحصـــان المقيـــد

من القصائد الهادفة التي قرأتها قبل أيام منشورة بصفحة الأدب من هذه الصحيفة، قصيدة لشاعر الجنوب الأستاذ محمد بن علي السنوسي . .

القصيدة ذات معنى جميل، ولعلها ترمز إلى معنى خفي . وإذا جاز لي أن أفسرها، فإن ـ الحصان المقيد ـ حسبما تبادر لي هو ذلك المسؤول ـ أي مسؤول ـ الذي ليس لديه من الصلاحيات ولا من الإمكانيات مايضمن له النجاح في عمله .

كثير من الناس يحكم على شخص ما بأنه غير قادر، أو بأنه قد تخلى عن تطوير عمله وإنجاحه . . دون أن يحاول هؤلاء البحث عن الأسباب الجذرية لهذا الفتور أو التراخي .

كل إنسان لا يستطيع أن يعمل شيئا إذا لم يكن تحت يديه من الصلاحيات والإمكانيات مايمكنه من تنفيذ طموحه وأفكاره .

إن المرء، أو المسؤول عن عمل ما، يتمنى من قلبه أن ينجح في هذا العمل وأن يحقق فيه أبعد الأهداف وأسمى الغايات لأن نجاحه في عمله تتويج له شخصياً .

ولكن ما الحيلة . . إذا كانت العين بصيرة واليد قصيرة كما يقولون؟ .

الرياض ـ العدد ١٦٢ في ١٣٨٥/٧/١١هـ .

نقاش.. حول الصيد.. ومشكلات الشعر

في يوميات السبت الفائت، تطرق الأستاذ عبدالمحسن التويجري إلى المحاضرات التي ينظمها نادي شباب الرياض وأثنى على القائمين على شئون هذا النادي لتبنيهم هذه الفكرة الثقافية الفذة. . وذلك ثناء نشارك الأستاذ التويجري فيه فقد حقق هؤلاء ـ في دنيا الأندية بالرياض ـ أمنية فكرية طالما ترقبها شباب بلادنا.

وقد تعرض الأستاذ عبدالمحسن في مقاله هذا إلى نوعية تلك المحاضرات، وخص بالحديث محاضرتي الأستاذين الكريمين عبدالله بن خميس وعبدالله نور، فوصف الأولى منهما بأنها إشتغال بما لا طائل من ورائه، لأن مزاولة الصيد لدى العرب هو من قبيل إضاعة الوقت وأن البحث في مثل هذا الموضوع هو بمثابة دعوة إلى التذكير أو العودة إلى مزاولة هذا الصيد الذي قد لا يتناسب مع متطلبات الحياة العملية الجادة، وشك الأستاذ التويجري في كون الصيد رياضة.

إنني أوافق الكاتب على بعض ماذهب إليه ـ ولكنني قد لا أوافقه في البعض الآخر. .

صحيح أن الصيد ليس رياضة ولا ينبغي أن يكون كذلك. . ولكنه قد يكون هواية تستولى على مشاعر فتيان العرب فتدفعهم إلى مزاولته، وقد يكون للترويح عن النفس بعد عمل شاق مضن.

وفي بعض البلدان المتقدمة أندية خاصة للصيد يرتادها الهواة من علية القوم.

وصحيح أن الصيد قد يكون فيه ضرب من العبث وإضاعة الوقت. . غير أن هناك حقيقتين يجب ألا يغيبا عن بال أي أحد:

الأولى: أن فتيان العرب عند مزاولتهم لتلك الهواية، كانت تدفعهم ـ في أحيان كثيرة ـ الحاجة، بل الفاقة فهم يصطادون كيما يأكلون ويطعمون أنفسهم وأهليهم.. فالقنص ـ على هذا الاعتبار ـ مورد رزق وبحث عن لقمة عيش.. فالمسألة ليست ـ في جميع الحالات ـ إضاعة وقت أو اشتغالاً بما لا نتيجة من ورائه.

الثانية: أن المحاضرة التي ألقاها الأستاذ ابن خميس قد تكون ـ أو هي بالفعل كذلك ـ من باب البحث العلمي المجرد.. والبحث العلمي المجرد شيء قائم بذاته، والغرض منه هو دراسة جانب معين من جوانب الحياة العربية في الماضي، وليست دعوة إلى العودة إلى تلك الحياة.

وهذه الناحية بالذات ـ ناحية الصيد ـ حظيت بالعناية الكبرى من لدن الباحثين والدارسين وأساتذة الجامعات ورجالات المحافل والهيئات التاريخية والأدبية، وليس في البحث فيها ما يضير إطلاقاً.

ولكن حماسة الأستاذ التويجري وتطلعه النبيل إلى المستقبل الكريم لهذه الأمة ولهذه البلاد دفعاه إلى قول ماقال، فسمو الغاية لديه واضح جلي.

أما عن المحاضرة الثانية، محاضرة الأستاذ نور، فكم كان بودي لو أن الأستاذ عبدالمحسن ناقش الأستاذ نور في آرائه الجريئة تجاه قوالب الشعر العربي وقوانينه.. فالأستاذ نور قد جاء بآراء غريبة نسف بها ـ وبكل بساطة ـ أصول الشعر العربي واعتبر هذه الأصول غير ذات جدوى.. هنا محك كبير وهنا مجال رحب للرد على المحاضر.. ولولا أن المقام لا يسمح لي هنا ـ في هذه العجالة ـ بمناقشة المحاضر لقلت مالدي في الموضوع.. أما أن يقول الأستاذ التويجري أن الكلام في مثل هذا الموضوع غير ذي جدوى فإن القلم يحاسبه عليه حسابا عسيراً.

على أن الأستاذ بحديثه عن هذه المحاضرة، قد يكون قصد فتح باب معركة أدبية تذكي الحركة الأدبية في بلادنا، فإن كان الأمر كذلك فحسبنا مافعل، وحيهلا بهذه البادرة. . بادرة معركة حول الشعر القديم والحديث يفيد منها أدبنا وأدباؤنا!.

الرياض/ العدد ١٩٧ في ٢٢/٨/١٣٨٥هـ.

الثقافة للجميع

الثقافة حق مشاع لكل مواطن، وعلينا أن نهيء جميع الأسباب لتحقيقها وإشاعتها ولست أجد جهة حكومية قمينة بعمل ذلك ـ كواجب من إختصاصاتها ـ مثل وزارة المعارف التي تدخل الشئون الثقافية ضمن إختصاصها.

فكرة جميلة تبنتها وزارة الثقافة والإرشاد في مصر، منذ سنوات، وهي تيسير الثقافة لكل مواطن بأقل تكلفة، متمثلاً هذا التيسير في الكتاب باعتباره الوعاء الأول والأفضل للثقافة.

من ذلك ـ مثلا ـ أنها تبنت اخراج سلسلة من الكتب لكبار المؤلفين والمفكرين المعاصرين وإشاعتها بين الناس بسعر رمزي لايعدو تكلفة طبعها في الغالب، فأخرجت سلسلة جميلة من الكتب تحت عنوان «أعلام العرب» يباع الواحد منها بخمسة قروش مصرية. وكل كتاب يتناول علما من أعلام الأمة العربية مثل عبدالملك ابن مروان والوليد بن عبدالملك وإبن قتيبة وأبي العلاء المعرى والمعتمد بن عباد وإبن تيمية والأصمعي وعبدالقادر الجرجاني وإسحاق الموصلي وأحمد زكي «شيخ العروبة» ورشيد رضا والزهاوي . . إلخ.

وكل كتاب قام بتأليفه باحث شهير استوفى فيه جميع العناصر المعتادة في البحوث. إن مثل هذا العمل ـ علاوة على كونه يربطنا بحضارتنا ـ يهيء لنا شيئا من صنوف الثقافة بأيسر الوسائل وأقل التكاليف.

ومثل هذا ـ بطبيعة الحال ـ لن يستطيع الاضطلاع به فرد واحد، كما لن تقدم عليه دار نشر تستهدف الربح والمصلحة. . ولكن الذي يضطلع به في يسر هو جهة حكومية لها من الإمكانيات الشيء الوفير.

فما أحرى وزارة المعارف لدينا بأن تيسر الثقافة لأبناء هذا الشعب بمثل هذه الطريقة. . !.

إننـا نعقد عليها آمالاً جسامًا في ميادين الثقافة.. ونرجوها أن تولي هذه الناحية ماهي جديرة به.. وما نحسب أنها ستكون عسيرة على همة المسؤولين في وزارة المعارف.

أمل كبير.. عسى أن تحققه الأيام القريبة.. ومن أولى بذلك من وزارة المعارف؟!.

الرياض العدد ١٩٧ في ١٣٨٥/٨/٢٢هـ.

مضـــايقـــات

مضـايقـات كبيرة أحس بها في نفسي، عندما أقرأ كتابا مترجما إلى العربية يتحدث عن بلادنا أو عن جوانب من تاريخنا، فأجد أن المترجم ـ وهو عربي ـ قد نقل بعض الأعلام ـ سواء أعلام الرجال أم أعلام الأمكنة ـ باللفظ الذي كتبت به في الأحرف اللاتينية، دون أن يكلف نفسه عناء التروي فيكتب هذه الأعلام كما هي بلفظها الأصلي.

إذا كان هؤلاء المترجمون ليست لديهم المعرفة التامة بهذه الأعلام، وبالتالي عدم القدرة على رسم هذه الأعلام على الصورة وبالحروف التي تواضع عليها أهلها وتناقلوها، فلماذا لا يدفعون بمترجماتهم إلى ذوي إختصاص ليراجعوها لهم قبل أن يجري نشرها وتداولها.. ؟!.

ومثل الكتب الخرائط المترجمة أو المنقولة عن لغات أجنبية.

وآخر هذه المضايقات أحسست بها قبل يومين وأنا أقرأ كتابا يتحدث عن بلادنا وتاريخها الحديث ترجمه أحد الإخوة العرب، ومن أمثلة هذه المضايقات فيه: درمـه «يقصد ضرمى»، هاير سبيء «يقصد حائر سبيع». هذلين «يقصد حثلين» قبيلة أسـامـة «يقصد عشيرة العصمة المعروفة».. وهكذا نجد هؤلاء يجارون الأجانب ويزيدون عليهم في تحريف أعلامنا العربية.

الرياض/ العدد ٢٠٣ في ١٣٨٥/٨/٢٩هـ.

الأدب.. في العيد

يعتبر العيد من أهم مواسم الأدب. . يعبر فيه الشعراء والأدباء عن خواطرهم وأحاسيسهم ومشاعرهم تجاهه. . أو يتبارون فيه مهنئين للولاة والرؤساء والعلماء ومن إليهم بمقدمه. . على أن المنحى الأول ـ ونعني به التعبير عن الخلجات التي تساور المرء في يوم العيد ـ تبدو، أكثر ماتبدو، في الأدب الحديث، بينما أن المنحى الثاني ـ وهو التباري في تقديم التهنئة ـ يبدو واضحا في الأدب القديم أكثر منه في الأدب الحديث.

لقد حفل تاريخ الأدب العربي، في قديمه، بهذا الضرب الأخير كما قلنا، فاشتمل على صور حية من قصائد العيد يجدها المتتبع لدواوين العرب وأشعارهم. .

لا يكاد يحل العيد حتى تتحرك ألسنة الشعراء، فيتباروا واقفين أمام الولاة والرؤساء يهنئون بالعيد ويسترسلون في هذه التهاني إلى معانٍ شتى من شئون الحياة طامعين من وراء ذلك كله إلى نيل شيء من كرم الممدوح وعطائه!.

والخطباء هم أنداد الشعراء في هذا المجال، طبعا. . !.

وما أكثر القصائد التي قصَّدها الشعراء، والخطب التي حبكها الخطباء، في مثل مناسبة العيد أمام الولاة ومن إليهم. . !.

وتخطر لنا، في هذا المقام، قصيدة من تلكم القصائد، أو من ذلكم الطراز من الأدب، قصيدة تعتبر ـ والحق يقال ـ من أجمل قصائد التهنئة بالعيد قالها البحتري في المتوكل. . وكان من عادة خلفاء بين العباس في يوم العيد، إقامة مهرجان عسكري يستعرض فيه الخليفة حرسه وجيشه.

قال البحتري يهنيء المتوكل بمقدم العيد ويصف روعة ذلك اليوم ـ من

خلال ذلك الاستعراض المهيب ـ ليخلص من هذا الوصف إلى مدح الخليفة والاشادة بمقامه:

بالبر صمتَ، وأنت أفضل صائم، وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عينا إنه يوم أغر من الزمان مشهر
أظهرت عز الملك فيه بجحفل لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت عددا يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي والبيض تلمع والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس ماتعة توقد بالضحى طورا ويطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بنور وجهك فانجلى ذاك الدجى وانزاح ذاك العثير!

وهكذا صور لنا البحتري مشهدا من مشاهد العيد في القديم بأروع مايكون التصوير. . ومع هذا التصوير الفني إمتزج الإطراء والتهنئة.

والبحتري بارع في الوصف ـ أي وصف ـ إلى أبعد الحدود ـ وقديما قال النقاد «إنما الشاعر البحتري» لهذا السبب. . وقصيدته هذه ـ وهي طويلة لا يتسع المقام لايرادها ـ من أجود ما قيل في التهنئة بالعيد ووصف بعض مظاهره.

والعيد قد لا يصادف شاعرا وهو في حال من السعادة والانشراح. . هذا شاعر العرب الأكبر أبو الطيب المتنبيء يصادف هلال العيد خروجه من مصر مغاضبا وحانقا على حاكمها الإخشيدي.

كان المتنبيء قد مدح كافورا من قبل وكناه بأبي المسك ـ حيث كان شديد السواد ـ ويبدو أن أبا الطيب كان يطمح إلى شيء من السيادة عن طريق كافور، ولهذا قدم مصر، ومدح «كافورها» بقصائد رائعة تعتبر من روائع الشعر العربي، وإن كان التكلف واضحا عليها حيث لم تصدر عن سجية أو اقتناع بأحقية ممدوحه لها فلما لم يحصل على مبتغاه واعتراه اليأس في أمله وطموحه، بدأ يغير من

نهجه فحوَّل مدحه إلى قدح، وظهر على سجيته تجاه كافور، وكان أن هجر مصر، ليلة العيد، يهجو حاكمها ويصفه بأقذع العبارات. . ويظهر من هجائه هذا أنه كان ـ كما قلنا ـ منطلقا مع طبيعته فأتى بما في «جعبته» من سيء الألفاظ ولاذع العبارات وألقى بها فوق هامة كافور الأسود.

يبدأ المتنبيء قصيدته هذه متسائلا عن الجديد في اطلالة العيد ـ وهو في تلك الحال ـ فيرسم بذلك صورة ممتعة رائعة للخواطر التي تجول في نفسه وهو يغادر مملكة كافور:

عيد بأية حال عدت ياعيد؟ بما مضى؟ أم بأمر فيك تجديد؟
أما الأحبة فالبيداء دونهمو فليت دونك بيداً دونها بيد!!

ويقول في حال مصر:

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشمن وما تفنى العناقيد

ويهزأ بكافور على هذا النحو:

من علّم الأسود المخصي مكرمة؟ أقومه البيض أم آباؤه الصيد؟!
أم أذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود؟
لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد!

تلك حالة نفسية متوترة، وواقع لم يعجب المتنبيء، فصوره في هذه الصورة التي أحطنا بطرف منها. . وأنها لمقابلة لطيفة أن يقرن المتنبيء حالته هذه بالعيد وقد صادفته، فالمفروض في العيد أن يصحبه الأنس والسعد والابتهاج على عكس ماصحب عيد المتنبيء هذا.

وإن كان حظ الأدب القديم مما يوحي به العيد من أهاجيس وأحاسيس ومشاعر قليلا، فإن حظ الأدب الحديث من ذلك كان وفيرا.

لقد تلمس أرباب الشعر المعاصرون، كما تلمس أرباب القصة ـ وهي فن حديث ـ مايحيط بهم من مشكلات الحياة الاجتماعية، فشاركوا الآخرين في آلامهم واتراحهم وصوروا مايعانون أصدق تصوير.

ومن هنا بدأ الجانب الاجتماعي الذي يبرزه العيد يستولي على تفكير الأدباء والشعراء والقصاصين، فكم هي ـ مثلا ـ من قصة أو قصيدة تحدثت عن «اليتيم في العيد» أو «الأرملة في العيد» أو «اللاجيء في العيد» أو غير ذلك من صور الحياة التي يجسمها العيد، في أوضح الصور!.

إن هذا النوع، من الأدب في العيد، لايكاد يخلو منه ديوان لشاعر، أو قصة لقاص، أو مقالة لكاتب.

والجانب الاجتماعي يستتبعه ـ بطبيعة الحال ـ الجانب الفلسفي والإنساني في العيد.

هذا شاعر المهجر الكبير «إيليا أبو ماضي» يقول. وقد شاهد أرتال الناس يبادرون إلى شراء هدايا العيد، فيتمنى لو تساعفه الدنيا ليقضي في العيد رغباته، وهي رغاب من نوع إنساني قد تتمثل في أمنياته الخاصة لكل فئة من الناس ـ يقول أبو ماضي:

أقبل الناس يشترون هدايا الـ ـعيد للأصدقاء والأحباب
فتمنيت لو تساعفني الدنيا فاقضي في العيد بعض رغابي
كنت أهدي ـ إذن ـ من الصبر أرطا لاً إلى المنشئين والكتاب
وإلى كل نابغ عبقري أمة أهلها ذوو ألباب
وإلى كل شاعر عربي سلة من فواكه الألقاب
وإلى كل تاجر حُرم التو فيق زقين من عصير الكذاب
وإلى كل عاشق مقلة تبـ ـصركم من ملاحة في التراب
وإلى الغادة الجميلة (مرآ ة) تريها ضمائر العزاب!!

وإلى الناشيء الصغير مرانا
وإلى الشيخ عزمة في الشباب

وإلى معشر الكسالى قصورا
من لجين وعسجد في السحاب

علّني استريح منهم فقد صا
روا كظلي في جيئتي وذهابي

وإلى ذي الغنى الذي يرهب الفقـ
ـر إزدياد الذي به من عذاب

كلما عد ماله مطمئنا
أبصر الفقر واقفا بالباب

وإلى الصاحب المراوغ وجها
أسودا حالكا كوجه الغراب

فإذا لاح فرت الناس ذعرا
من طريق المنافق الكذاب

وإلى كل من يسبني في غيابي
شرفا كي يصونه من سبابي

وإلى حاسديَّ عمرا طويلا
ليدوم الأسى بهم مما بي!

وإلى الحقل زهره وحلاه
من ندى لامع ومن أعشاب

فقبيح أن نرتدي الحلل القشـ
ـب وتبقى الربى بغير ثياب

لم يكن لي الذي أردت فحسبي
أنني بالمنى ملأت وطابي

ولو أن الزمان صاحب عقل
كنت أهدي إلى الزمان عتابي

هكذا سرح الخيال بشاعر المهجر كثيرا، فأعطى لنفسه إيغالا في الأمنيات مع العيد.. وهي أمنيات يبدو صعوبة تحقيقها، إن لم يكن إستحالتها، ولكن هكذا أبو ماضي دائما، ينظر إلى الأمور نظرة مرح وتفاؤل، وبسعة بال ونفس، تاركا الغم والهم وراءه..!.

وهكذا امتزجت هذه المعاني الإنسانية الفلسفية العميقة مع معاني العيد في هذه الصور الجميلة الأخاذة.

لقد أصبح الشعراء ـ وحتى القصاصين والكتاب ـ يجدون في العيد مناسبة لعرض قضايا الحياة الاجتماعية والفلسفية والخلقية والإنسانية ومحاولة علاجها، على ضوئه، علاجا نافعا مفيدا.

نعود، في ختام هذه الكلمة الموجزة، إلى القول بأن العيد موسم أدبي كبير،

من شأنـه أن ينعش حركـة الفكر والأدب، وإن اختلفت الأسباب والدواعي الباعثة لهذا الانتعاش بين الماضي والحاضر. . فلئن كان العيد في الماضي مناسبة ثابتة بالنسبة لحركة الفكر فهو اليوم مناسبة متحركة ومتطورة.

الدعوة/ عدد ٨٥، ٨٦ (عدد خاص بالعيد) في ١٣٨٦/٩/٢٤هـ.

أما من خلف لهؤلاء؟!

بعد أن فرغت ـ البارحة ـ من قراءة «جنة الحيوان» لطه حسين، وضعته جانبا على طرف مكتب صغير بازائي.. ورحت أسبح في بحر لجي من التأملات والخواطر والأحاسيس والأفكار.

وهذه حالتي مع كل كتاب أو بحث أو مقال لطه حسين أو للعقاد أو للزيات أو لأحمد أمين أو لأضرابهم من أساطين الأدب والفكر المعاصرين في العالم العربي.

لقد أضنى هؤلاء أنفسهم، وكدوا أعمارهم، في الدرس العميق، والبحوث المستفيضة وخرجوا للأجيال العربية بأروع الأعمال الأدبية الجادة، فكانوا أمثالا عالية في دنيا الأدب الحي الجيد، وفي طول الأناة والصبر والجلد على ممارسة البحث..!.

ومن هنا فإنني أسأل نفسي، في خضم تلك التأملات، ومن خلال هاتيك السبحات، ألا من يخلف هذا الكاتب أو ذاك..؟ ومن سيسد الفراغ الكبير الذي يملؤه هؤلاء الأساطين، بعد أن يكون قد انتهى بهم أجل الحياة؟!.

إنني أجد ـ كما يجد غيري ـ في كتابات هؤلاء ثروات هائلة من عيون الأدب، ومن روائع الفكر. وأجد أن الواحد منهم قد قدم للغته ولأدبه ولقومه آثارا خالدة لا يمكن أن تقدر بثمن، أي ثمن، وهي بمثابة فخر وإعتزاز في حياة العرب العقلية والفكرية، وأجد أنهم قد أدوا الواجب والرسالة كأحسن مايجب، وقاموا بما عليهم على أتم مايكون القيام.. ولكني عندما أجيل الطرف يمنة ويسرة، وعندما يطول بي البحث عن خلف لهؤلاء، حقيقٍ بهذه الخلافة، لا أجد جوابا لبحثي، وثمة يعود البصر حسيرا..!.

إن كُتاب الرعيل الأول، في تاريخ العرب الأدبي الحديث، هم نسيج وحدهم دون شك، وهم قد بلغوا شأوا بعيدا لم يكن لأحد من أدباء الجيل الذين يتلونهم حظ يضارعه.

وهم لم يبلغوا هذا الشأو إعتباطا، أو في غفلة من زمن، وإنما نتيجة العمل الجاد المضني ونتيجة الدراسة المتعمقة القائمة على الجوهر قبل الطلاء.. كما قلت.

لقد كانت مصادر هؤلاء العمالقة في دراسة الأدب وفي التفتيش عن أوجه الحياة والجمال فيه، هي تلك الأصول الكبرى التي قام عليها تاريخنا الأدبي نفسه والتي استقى منها نفسها الجاحظ وأبو الفرج الأصبهاني وأبو علي القالي والمبرد وأبو العلاء المعري عناصر دراستهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم وزادوا على ذلك إتصالهم بالفكر الأوربي الحديث وماجاء به من القواعد في النقد والتحليل والنقاش وما أحاط بهذا الفكر من ثقافة حيوية ثرة تشبع النهم وتشفي الغلة.

من هنا انطلق هؤلاء العمالقة، يبنون مجدا أدبيًّا فذاً لأمتهم، حتى كانت أيامهم من أزهى أيام الأدب العربي بلا مراء.. فكان أن تركوا لنا روائع الأفكار وخوالد الآثار، وكان أن قدموا لمتذوقي أدبهم ومتعشقي فنهم الذ ما يحلم به فكر متطلع..!.

ولا أحسبني أقول شططا، أو أجانف حقيقة، لو أنني قلت إن ما قدمه العقاد وطه حسين ـ مثلا ـ من خدمة جلى لهذه اللغة ولهذا الأدب، لا يقل بحال عما قدمه لهما الجاحظ وأبو الفرج الأصبهاني وأضرابهما..!.

ونأتي إلى الطبقة الثانية من أدباء العرب المعاصرين.. ومع أننا لا نغمط لأحد منهم حقا، ولا ننكر له جده ومحاولاته، فإننا ـ بمقارنة عابرة لإنتاجهم مع إنتاج أسلافهم ـ نجد البون شاسعا بين الإنتاجين، قوة وضعفا، حتى إننا

لنحسب أن بينهم وبين تلك القنن الشامخة أطوارا وأطوارا، وما نظنهم سيطوونها، في مقتبل أيامهم لمساواة تلك القنن.

واليوم.. ونحن نشاهد أيادي المنون تنتقص عمالقة الأدب العربي، واحدا تلو الآخر.. حيث احتوى الغيب ـ قبل قرابة سنوات أربع ـ العقاد.. ومن قبله احتوى أحمد أمين.. ومن قبلهما عمالقة الشعر العربي المعاصر أمثال شوقي وحافظ ومطران والرصافي ولم يبرز في الميدان من يقوم مقامهم.. اليوم ونحن نشاهد هذا ونشاهد البقية الباقية من عمالقة الأدب يمرون في أدوار الشيخوخة العليا.. يحق لنا أن نتساءل في قلق: من ياترى سيخلف هؤلاء العمالقة الخالدين؟.. ومن سوف يحمل مشاعل هذه الأطواد..؟!.

إنني أضع يدي على قلبي، كلما مر عام.. ويشهد الله كيف استولت عليّ سحابة من إكتئاب ـ قبل أيام ـ عندما قرأت أن طه حسين ـ مد الله في عمره ـ قد بلغ التاسعة والسبعين من سنيه وأنه يقف الآن على أعتاب الثمانين.. إن الثمانين لتذكرنا بقول الشاعر القديم:

إن الثمانين ـ وبلغتها!ـ قد أحوجت سمعي إلى ترجمان!

قلت لنفسي ـ آملا ـ إن الثمانين التي يعيشها طه حسين، ستسخر من هذه الثمانين التي أثقلت سمع الشاعر الجاهلي، وأن الثمانين التي يعيشها طه حسين لا تعادل شيئا بالنسبة لما قدمه عميد الأدب العربي الحديث.. ولكن مما يعزينا أن عمر طه حسين وعمر غيره من جهابذة القلم ليس في سنوات تعد عدا، وإنما هو فيما تكنه القلوب الأدبية من جم التقدير ووافر الإكبار، ومن تعلق شديد بمؤلفاتهم وآثارهم، وإدمان مدهش على إحتساء رحيقها.

وأخلص ـ من بعد ـ إلى القول بأن فواجع الأدب في كبار رجالاته المعاصرين سوف تترك خلفها دروبا ومسالك خاوية، وسيظل وراءها الفراغ شاغراً.. وليس في الأفق مايشير إلى أن «أطوادا» جديدة ستؤنس تلك الدروب والمسالك أو ستملؤ

ولو جانبا من ذلك الفراغ الكبير. . ! .

لقد تصدع ـ قبل ربع قرن ـ بنيان دولة للشعر ـ كان قائما فما خلف هذه الدولة خلف قوى متين. . لقد خلفتها دويلات شتى في الشعر. . نعم دويلات أشبه بدويلات الطوائف في التاريخ الإسلامي. . وطبعي ألا تستطيع هذه الدويلات أن تسد الفراغ الذي نشأ عن تصدع تلك الدولة. . ! .

فهل ـ ياترى ـ سيكون حال الأدب الباحث الدارس الناقد الناثر كحال الأدب الشاعر المترنم؟ .

إذا كان الحال كذلك، فثمة تكون الطامة أكبر والخسارة أفدح. . إنني أعاود التساؤل هنا مرة أخرى. . ترى من سيخلف عمالقة الأدب المعاصرين. . !؟ .

الرياض/ العدد ٨١٨ في ١٣٨٧/٩/٢٩هـ.

انتعـاش أدبـي.. ولكـن!

يقـولون إن الأدب، في بلادنا، يعيش حالة ركود في السنوات الأخيرة. . وذلك قول لا يمكن القبول به على إطلاقه، فالانتعاش ملحوظ في أدبنا. . ولكنه إنتعاش تكتنفه بعض الأدواء. . !.

إن الـذي ألاحظه، وأتوقع موافقة الكثيرين من الأدباء عليه، أن الأدب عنـدنـا لا يشكو من الركود بقدر مايشكو من الفوضى التي نلمسها جلية بين مساربه ومسالكه.

إن الأدب يتطلع إلى عملية تنسيق وتنظيم وغربلة، تضع له إعتباره، وتعيد له احترامه، وتباعد بينه وبين القشور والسطحيات، وتخرج الطفيلين من رحابه التي تكاد تغص بهم. !.

ففي السنوات الخمس المنصرمة، صدر في بلادنا عدد جم من الكتب. . منها ما هو جيد جاد. . ومنها ماهو رديء هازل. . ومنها ماهو بين بين. . ولو وضعنا النوع الرديء الهازل جانبا، ثم رحنا نتفحص تلكم المؤلفات الجيدة، أو التي دونها قليلاً لخرجنا بنتيجة أولية، وهي أن الأدب في بلادنا يعيش حركة لا بأس بها وإن لم تكن بالصورة المتوخاة. ويكفي أن نطّلع على بعض الدواوين والقصص وكتب الـدراسـات الأدبية وكتب البحـوث المتعمقة في شتى الفنون الأدبية، والتي ألفها عدد من المؤلفين والشعراء الذين نأنس فيهم النضج ـ يكفي أن نطلع على هذه المؤلفات لنتحقق من صدق هذه النتيجة.

ولو عدنا إلى الجانب الآخر ـ جانب الكتاب الرديء الهازل ـ فإننا سوف نجده، هو الآخر ـ قد شغل حيزا كبيرا ما كان يجب أن يشغله في ميدان التأليف.

وهذا الإنطلاق الغير مقيد، قد أساء إساءة بالغة إلى الواقع الأدبي في بلادنا، أظهره بمظهر غير حميد، وطبعه بصورة الفوضوية، الأمر الذي يعكس إنطباعا

مشينا لأدبنا في الداخل والخارج . . وأقول ـ في الخارج ـ لأننا نريد لأدبنا ألا يكون «محليا» . . بل نريد له أن يكون «صالحا» للتصدير إلى الأقطار الأخرى . والأدب الجدير بالتصدير وبإطلاع الآخرين عليه ، هو الأدب الجيد الناضج ، الذي من شأنه أن يظهر الوجه المضيء للفكر في بلادنا ، ويبرز الصورة الطيبة الحية لخلجات الروح . . وقدرات العقل لدينا ، أما ذلكم النوع الغثاء فقمين به أن يظل في صدور أصحابه ، فضلا عن نشره ولو في الداخل ! .

من هنا ، تبدو الحاجة ماسة إلى التمحيص والمايزة ، بل إلى طرد النفايات وعدم ترك الحبل على الغارب لكل هاذٍ وهاذر ومتنطع . . ! .

وحبذا لو جرى تشكيل هيئة ، من كبار المختصين في دنيا الأدب والفكر والمشهود لهم بالاخلاص والنضج والصدق ، ترعى الحركة الفكرية في هذه البلاد ، وتأخذ بيدها نحو المهيع السوي الذي يجنبها المزالق ويحقق لها الظفر ، ويكون من مهمات هذه الهيئة تقويم المؤلفات قبل نشرها ، بمعنى أنها لا تجيز للمؤلفات الغثة والهزيلة أن ترى النور ولا لذويها أن يعبثوا بأذهان القراء .

إنه لا مندوحة لنا من هذا الأمر . . ذلك أننا في صدر نهضة شاملة وعظيمة ، يجب أن يتبارى فيها الأدب مع العلم . . لأنهما صنوان . . وضروري لكل نهضة أن تنتظم عقديهما معا . . والنهضة التي لا يساير فيها الأدب العلم تظل شلاء ! .

ومايقال عن النتاج الأدبي ، في ميدان التأليف ، يقال أيضاً عن النتاج الأدبي على أنهر الصحف . . إلا أن مسؤولية تمييز الصالح من سواه تعود ، في الدرجة الأولى ، إلى رؤساء التحرير الذين يفرض عليهم الواجب ألا يقدموا للقاريء سوى المادة الجيدة الخليقة بالقراءة والذين عليهم أن يدركوا ـ من قبل ـ أهمية الدور الذي يلعبه الأدب في حياة الأمم . . ! .

إن في غربلة النتاج الأدبي وتقديم المؤلفات ، لخدمة مثلى للأدب وشداته ،

وتطويرا حيويا لنهضتنا الشاملة، وإسهاما كبيرا في بناء مستقبلنا الفكري.

أعود فأقول: إن الحركة الأدبية هنا تعج بالعديد من المؤلفات الجيدة التي تصل إلى مستوى نديداتها في الأقطار الشقيقة، كما أن فيضا من البحوث والأقاصيص والقصائد والمقالات تطالعنا به بعض المجلات والصحف عندنا، ويتسم كثير منه بالجودة.. وهذا ما يؤكد الانتعاش الأدبي ويرفض القول بأن الأدب لدينا يمر بفترة جمود.. بيد أن هذه الحركة ـ في الوقت نفسه ـ تشكو مر الشكوى، من إنسياب ـ أو تسيب ـ في التأليف والكتابة يمارسه بعض من لم تتوفر له أسباب حمل القلم.

وماعلينا إلا وقف هذا الإنسياب!.

الدعوة / العدد ٢٥٢ في ١٩/٣/١٣٩٠هـ.

الحاجة إلى دائرة معارف عربية..

من المسلم به، أن فقدان «دوائر المعارف»، أو الموسوعات الثقافية، في ثقافة أمة من الأمم أصبح ـ اليوم ـ يعتبر نقصا كبيرا في هذه الثقافة، كما أصبح يعتبر تقصيرا معيبا من قبل العلماء والباحثين في تلك الأزمة.

ذلك أن «دائرة المعارف» ـ وهي حصيلة مركزة تجمع أشتات العلوم والمعارف، وتقربها للدارسين والمثقفين ـ قد أصبحت ضرورة من ضروريات الحياة الثقافية المعاصرة، إذ بدونها يظل الدارسون والمتطلعون إلى المعرفة حيارى أمام خضم المراجع والمؤلفات، لا يعرفون من أين يبدؤون ولا إلى أين ينتهون.. خاصة وأن العصر عصر عمل وسرعة ومادة.

ولهذا عنيت الأمم الحديثة بهذا اللون الثقافي، فبذلت من أجله الكثير من عنايتها وشجعت الباحثين والمختصين على إرتياده، ولم تترك سبيلا إلى هذا إلا وطرقته. ولم تقتصر «دوائر المعارف» لدى هذه الأمم، على مايعنيها أو يتصل بثقافتها فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى ثقافات الأمم والشعوب الأخرى، فوضعت هذه الثقافات بين يدي القارئين من أبنائها، وذلك كله بأسلوب ميسر ومركز وواف، تمكينا لها من الإطلاع بأوسع معانيه.

ولعلنا لا نجهل أن «دوائر معارف» تتعلق بثقافة العرب والمسلمين وبالشرق عامة، قد ألفت في كثير من بلدان أوروبا، وبلغات تلك البلدان بغرض إطلاع القوم هناك على معالم هذه الثقافة.. وهذا جهد عظيم يبذلونه بلا شك.. وإن كان ماكتبوه لم يخل ـ في كثير من مواضعه ـ من الشطحات، ومن بعض مظاهر العصبية التقليدية ضد تراثنا وثقافتنا.

وفي عالمنا العربي ظهرت بعض «دوائر معارف» تتناول فروع الثقافات

العربية والأجنبية.. ولكن هذه الدوائر ـ مع إحترامنا لجهود أصحابها ـ لم تأت بالصورة المتوخاة.. ذلك أن بعضا منها كان حصيلة جهد فردي.. والفرد ـ مهما أوتي من علم وثقافة وسعة إطلاع ـ لا يمكنه أن يكتب في شتى الموضوعات والاختصاصات.. وبهذا تأتي موسوعته قاصرة علميًّا وثقافيًّا، ومجانبة لأسلوب التركيز الذي هو نتيجة الاختصاص والمعرفة الدقيقة.. والبعض الآخر من هذه الموسوعات قام بتأليفه جماعات، يتولى كل واحد فيها كتابة مايطلب منه كتابته مما هو داخل تحت تخصصه.. وذلك منهج حميد في ذاته.. ولكن هذه الجماعات عند كتابتها لمواد الموسوعة كانت تضع في اعتبارها بعض العوامل العامة.. أو بعبارة أخرى كانت تخضع لمنهاج فكري أو سياسي معين، الأمر الذي يبعد قلم الكاتب عن التجرد في كتابته.. علاوة على أن معظم مواد مثل هذه الموسوعة جاءت موجزة لدرجة مخلة، وهذه نتيجة للسرعة التي أريد للموسوعة أن تخرج بها.

من هذا وذاك، تبدو الحاجة ماسة جدا إلى المباشرة في تأليف موسوعة عربية شاملة، يتولى كتابتها والإشراف على تحريرها نخبة مختارة من العلماء المشهود لهم بالكفاءة التامة وبالتجرد.

وياحبذا لو أختير هؤلاء من شتى أقطار العالم العربي الإسلامي، ويااليت الدول العربية تتعاون ـ مجتمعة ـ في هذا المضمار، فتمنح مساعداتها المادية والعلمية لمثل هذا المشروع.. وأحسب أن هذا لن يكون عسيرا متى ماتوفرت الرغبة الصادقة لذلك.

إن في هذا لخدمة جليلة لثقافتنا وتراثنا، وتيسيرا للأجيال العربية للإنتهال من مشارب الثقافة في عصر طغت فيه حياة المادة على حياة الروح.

الدعوة / العدد ٢٦٠ في ١٦/٥/١٣٩٠هـ.

الأدب.. والحيـــاة

موضـوع «الالتـزام» في الأدب.. هو من المـوضوعات التي أُشبعت بحثا ودرسا، إذ كُتبت فيه المقالات، وأقيمت الندوات، وألقيت المحاضرات، وألفت الكتب.

ولقد اختلف الباحثون والنقاد حوله، وذهبوا مذاهب شتى.. وليس هنا مجال إستعراض هذه الآراء.. ولكن لي ـ هنا ـ وجهة نظر حول الموضوع.. وهي وجهة يأخذ بها بعض من النقاد، فلا أزعم إنفرادي بها.. وهذه الوجهة تمثل خطا وسطا بين الرأيين المتناقضين في هذه القضية.

إن الأدب ليس للأدب وحده.. وإذا كان بعض الناقدين يرى تحرير الأدب من شتى المسؤوليات والتبعات الاجتماعية والأخلاقية والوطنية والسياسية، فإننا نرى في الأدب إنتاجا ذهنيا وعقليا وإنسانيا مثل جميع الانتاجات البشرية، يجمعه وإياها غاية مثلى، هي خدمة البشرية ومساعدتها في بلوغ ماتصبو إليه من السعادة والرقى والرفاهية، وبالتالي فإن الأدب يتحمل تلك المسؤوليات.

على أنه من غير الصواب، الإسترسال في هذا الرأي إلى حد نستبعد معه العاطفة الخاصة والشعور الذاتي في الكاتب، فلا نقيم لذلك أي وزن أو إعتبار، لأننا بمثل هذا الإعتبار ـ نجعل الكاتب عبارة عن ناقل أفكار وراوية مشاعر، وليس بمبتكر أو مفكر أصيل، إذ هو يحكي ـ دون وعي ـ أفكار غيره، ويصور أحاسيس يفرضها عليه مجتمعه فرضا، دون أن يكون له رأي.

نعم، إننا لو قبلنا هذا الرأي ـ على اطلاقه ـ فإن ذلك يعني جعل الأدب في منـأى عن الإبداع الفكري والفني.. وذلك لتجانس النظرة وتماثل الرأي تجاه الحياة والناس، إذ أن هذه النظرة الواحدة تمحو ـ دون شك ـ مافي الفكر البشري من تنوع، نتيجة للتباين الطبعي في السلوك والأمزجة والأذواق وللتباين المكتسب

في الثقافة والخبرة. والأديب متى جارى - في أفكاره - مجتمعه مجاراة عمياء مطلقة، دون أن يعبر عن رأيه المستقل وشعوره الخاص، يكون بهذا نبذ عنصر الصدق في الأدب جانبا وذلك مالا يجوز بحال.

ولهذا ذهب أحد النقاد إلى القول بأن الأدب، في أساسه، لم يقم ليرعى إتجاها عاما أو ليدعو إلى قضية من القضايا، مهما يكن ذلك الاتجاه ومهما تكن هذه القضية بل يجب أن يعبر - أولا - عن صدق التجربة أي عن المشاعر الذاتية وعن المعاناة الخاصة للحياة.. ونحسب هذا شرطا أساسيًّا لتسميته أدبا..!.

صحيح أن الكاتب يجب أن يعيش أحداث عهده، فلا يكون انعزاليا، عائشا مع أحلام الرومانسية.. ولكنه يجب أن يعبر عن أحاسيسه الذاتية تجاه مايعيشه من أحداث.

من هنا، تبدو صعوبة مجاراة الرأي القائل بأن الأدب للأدب وحده. كما تبدو صعوبة مجاراة من يرى بأن الأدب للحياة دون الأخذ بالإعتبار مراعاة أحاسيس الكاتب.

وحُمادى القول، فإن الأدب الصحيح يعني الإنسجام بين العواطف الخاصة والعواطف العامة.. أو بعبارة أخرى: المواءمة بين الفن والحياة.

الدعوة/ العدد ٢٦١ في ٢٣/٥/١٣٩٠هـ.

ليست مشكلة لغة.. وإنما أهل اللغة؟!

قرأت، قبل أشهر، مقالة لكاتب لبناني، حول اللغة.. واسترعى إنتباهي في مقالته قوله أن اللغة العربية تبدو قاصرة عن الوفاء باحتياجات الحياة ـ وهو يعني الحياة العصرية طبعاً ـ وقد بنى حكمه هذا على أن الإختراعات والإكتشافات العلمية الحديثة قد أتت بمصطلحات لم تكن معروفة في العربية من قبل، وأن كثيراً من الأفكار الإنسانية المستجدة هي فوق طاقة الأساليب العربية!.

وقد ذكرني هذا المقال بمقالات كان يكتبها الكاتب المصري سلامة موسى حول اللغة العربية، والردود القوية المفحمة التي تصدى له بها كبار الكتاب في مصر والشرق العربي يومذاك.. وكيف أن أفكار سلامة موسى قد باءت بفشل ذريع..

ولاحظت أن معظم من قالوا بقصور اللغة العربية، هم من «الأقليات» التي تعيش في البلاد العربية، والذين يكتبون مايكتبونه ـ ولو من حيث لا يشعرون ـ بدافع مركب النقص الذي يحملهم على مخالفة «الأكثرية» وعلى الشذوذ في الرأي..

وإذا جاز لي أن أبدي رأيا، حول هذا الموضوع ـ موضوع قدرة العربية على التعبير عن متطلبات الحياة العصرية ـ فإن من الحقائق المقررة في أصول اللغات أن اللغة ـ أي لغة ـ هي كائن حي، يتأثر تلقائيا بعوامل التطور والنمو الحضاري.. والعربية لغة مطواع، في معجمها وفقهها، وقد قابلت الحركة العملية في العصر العباسي ـ مثلا ـ بصدر رحب، فدخلها كثير من الألفاظ والمصطلحات الجديدة التي أصبحت، مع الأيام، جزءًا منها بعد أن تكيفت بالسليقة العربية وخضعت لطبيعة الصوت العربي.. وذلك ماعرف بالتعريب،

فالتعريب باب كبير وواسع يستوعب كل ماتعجز الترجمة عن أدائه أداء سليما ودقيقا.

وقد جرى سلوك هذا المهيع في العصر الحديث أيضاً، فتمت ترجمة كثير من المفردات والمصطلحات العلمية على أيدي العلماء العرب، وما ضاق به نطاق الترجمة ترك أمره للتعريب ليضعه في الصيغة التي يهضمها اللسان والذوق العربيان.. وقد أكد ذلك حيوية اللغة وقدرتها على الهضم والامتصاص ومجابهة الحياة.. ومن ناحية أخرى؛ فإن القائلين بعجز اللغة العربية، في مجالات العلوم، لم يأخذوا المسألة من أساسها، فإن العربية إذا كانت عاجزة كما يقولون، فعجزها راجع لعجز أهلها أولا، لأن الأمة القوية التي يرهبها العالم تكون لغتها قوية.. فيوم أن كان العرب أسياد هذا الكون كانت لغتهم اللغة الأولى للعلم والثقافة والآداب.. واليوم نجد أن اللغات السائدة في العالم هي تلك التي يمسك أصحابها بزمام هذا العالم، فاللغة القوية هي لغة الأمة القوية في كل زمان ومكان.

ليت هؤلاء القائلين بعجز العربية، يفتحون أعينهم ولو قليلا، لينظروا فيما حولهم.. لقد كانت اللغة العبرية لغة ميتة، لا يكاد ينطق بها أحد منذ ألفي عام أو أكثر.. فلما قامت الحركة الصهيونية، في أواخر القرن الميلادي الماضي، تذكرتْ أن العبرية يجب أن تكون عمادا لها، فبدأت تعمل على إحيائها، وكان اليهود لا يعرفون من العبرية حرفا واحداً.. حتى إذا ما استقروا بفلسطين تعلموا هذه اللغة التي كانت في ذمة الغيب.. وأصبحوا جميعا يعرفونها، بل لقد أصبحت ـ بعد فترة وجيزة ـ لغة المختبر والتشريح والصواريخ والمفاعلات الذرية.

أليس في هذا عبرة وأي عبرة؟!.

نعم.. إن أساس المشكلة بالنسبة للعربية، ليس فيها نفسها، وإنما في

تخلف العرب ـ إجمالاً ـ في المجالات العلمية . . ومتى لحق العرب بركب العلم ـ وهو حثيث ـ فثمة سيكون للغتهم شأنها، وسيعرفون كيف يجعلون منها لغة عالمية! .

الدعوة / العدد ٢٦٧ في ١٣٩٠/٧/٦هـ.

حـــول الأدب

كلما حاولت أن أخوض في حديث عن الأدب وجدت صدودا في نفسي عن ذلك الحديث، فالأدب يعيش هوانا مشينا في أذهان الناس. . وللناس العذر، كل العذر، في هذا.

ولا أود أن أطيل على القاريء الكريم إنتظار الشرح لذلك أو إيضاح السبب الذي جعل الأدب على هذه الصورة المزرية، وجعل الناس يقفون منه ذلك الموقف.

ظل الأدب العربي يعيش، في أوائل هذا القرن ومنتصفه، إزدهارا لم يشهد مثله منـذ عشرة قرون أو تزيد. . وكـان أن خرج الشعراء الفحول، والكتاب المجيدون، والمحققـون والباحثون الذين خدموا التراث أجل خدمة، وكان أن رأينا هذا العصر يخرج لنا أمثال أحمد شوقي وحافظ والرصافي والعقاد وطه حسين والزيات ومحمد كردعلي وشكيب أرسلان وأنستاس الكرملي وأحمد تيمور وأحمد زكي ـ شيخ العروبة ـ ومن على شاكلتهم من رجالات البيان والبحث والقصيدة ممن يطول بنا المقام لو رحنا نعددهم.

وقد أوجد هؤلاء وأمثالهم للأدب مكانة سامية في النفوس، وجعلوا منه المنارة الأولى لركب النهضة العربية الحديثة. . فكان القاريء ينظر لهؤلاء الصفوة بإكبار وإعجاب يفوقان حدود التصور، ويتطلع إلى ما ينشرونه تطلع الواله المشتاق. . ومن هنـا أصبـح الأدب في أذهـان القراء فناً رفيعاً رائجاً بعد أن كان كسيحاً هامداً. . ومن هنا صارت الصحافة العربية تتسابق إلى استكتاب أولئك الرواد لتضمن لنفسها الرواج والإزدهار، حتى لقد كان الأدب هو السمة الغالبة على صحافة تلك الأيام. . وهي صحافة تفوق، بلا شك، صحافة هذه الأيام بغزارة المادة، وجودة الموضوعات، وقوة الرأي، وصدق التعبير. . ولها في نفوس قارئيها مكانة لا تصل إليها مكانة صحف اليوم لدى قرائها.

ومني الأدب، بل منيت الصحافة، بفقدان جيل الرواد. . وقد خلف هؤلاء جيل لم يكن لهم ما لأولئك الرواد من ثقل فكري وإجتماعي. وهذا بإستثناء فئة قليلة لها من جلالة القدر، وسعة الفكر، وخصوبة الإنتاج، حظ ليس باليسير. . إلا أن الكثرة الكاثرة التي دخلت الساحة قسرا والتي اختلست المسيرة الأدبية قد أضاعت جهود تلك الفئة. وتصرمت السنون لتختفي تلك الفئة. . ولتحتل الميدان الخالي طبقة الأدعياء. . أدعياء القلم والفكر والأدب.

وصار معظم مايقال وما ينشر من الأدب كلاما ممجوجا بعيدًا عن أذهان الناس. . حتى لقد رأينا من ليس بذي علاقة بالأدب أو من ليس لديه أدنى قدرة أدبية يكتب صنوفا من الكلام الفج الذي لا روح فيه ولا حياة. . وهو يسميه حينا «شعرا». . وحينا «قصة». . وحينا ماشاء له خياله الميت. . وحتى رأينا ما يسمى «بالصفحات الأدبية» في صحفنا اليومية تموج بصنوف من الكلام لا تعرف له رأساً من ذنب. . وهم ينشرونه على أنه أدب. . مع أن الأدب. . والحق يقال. . . منه براء. .

وكانت النتيجة الطبعية أن هان الأدب في أذهان القراء هوانا مشينا ومزريا، وصار لفيف من هؤلاء يعتقد، عن جهل بأن الأدب هو هذا الكلام الرديء الذي ينشره بعض الكاتبين في غفلة من الوعي والفكر.

والقاريء العادي معذور في ذلك، لأنه لم يجد أديباً مجيداً ينزل الساحة ليكتب للقراء أدبا حقا قمينا بالدراسة والإعجاب. . وليخلق الحس الأدبي المرهف الذي يمايز بين الهزيل والسمين. . والطالح والصالح.

وهكذا كتب على الأدب في أكثر من قطر عربي أن يعيش واقعا سيئاً بالرغم من أن فنون المعرفة الأخرى تزدهر يوماً عن يوم، وتسير نحو الأفضل والأكمل. . وكان خليقا بهذا الفن الحي الرفيع أن يساير الفنون الأخرى، بل يكون رائدها الأمثل إلى الكمال، لأن الأدب هو فن الذوق السليم وقوام الأخلاق الفضلى.

وبنـاء الحضـارات يقـوم، أول مايقوم، على الدعائم المسلكية التي يعتبر الذوق السليم والأخلاق الفضلى أهم خصائصها. . وليس الأدب فن ترف، ولا هو ضرب من كماليات الحياة. . وحتى لو أعتبرناه فنا «كماليا» فيجب ألا يغيب عن البال أن الأمة لا تعتبر أمة راقية بحق حتى تستوعب الضروريات والكماليات معا. .

اليمامة/ العدد ٤٣١ في ١٣٩٧/١/١٠هـ.

الأدب لا يقبل هذه التجزئة

من الظواهر الأدبية التي ظلت، وما فتئت، تشغل أقلام كثير من الأدباء والباحثين في الأدب، بين فترة وأخرى، ظاهرة الحديث عما يسمى بأدب الشباب وأدب الشيوخ. . والأدب النسائي والأدب الرجالي. . والأدب القديم والأدب المحدث. وقد رأينا من راح يتصدى لتصنيف الأدب وفقا لهذه الاعتبارات. . كما رأينا هذا التصنيف يكاد يكون من الأمور المسلم بسلامتها. . ولم نر أحدا من هؤلاء قدم لنا فوارق فكرية أو قياسية أو فلسفية يمايز بها بين صنف وصنف، ويعطي بها ملامح صريحة لكل نوع. . وإن هو حاول تقديم شيء من الفوارق أو الملامح فهي لا تكفي لتبرير ذلكم التصنيف ولا تنهض حدا فاصلا بين صنف وصنف.

ومن المعروف عن النقاد وعلماء البلاغة أنه لكي يكون للموضوع الأدبي وزنه الجيد وإعتباره المقبول، فلابد له من توفر عناصر ثلاثة: الفكرة السليمة القمينة بالنقاش، ثم الاستيعاب الكامل لجوانب الموضوع أي الاحاطة بشتى أطرافه ثم حسن الأداء أو براعة الصورة التي يتم بها نقل الفكرة المستوعبة واضحة سلسة إلى ذهن القاريء.

ومتى كان الموضوع مستوفيًا لهذه العناصر، استحق أن ينتظمه مفهوم الأدب وأن يكون مقبولا بحق من جمهرة الأدباء وشداة الأدب وقارئيه. . كما يستحق صاحبه أن يكون في عداد الكتاب المجيدين. ولا اعتبار لكون هذا الكاتب شابا أو شيخاً. . أو رجلاً أو إمرأة. . أو كان قديما أو حديثا. . أو غير ذلك من الاعتبارات المماثلة. . ذلك أن الأدب وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة. والأديب إنسان يعيش تجارب حياته. . يافعًا فشاباً فشيخاً. . يعيشها بقلبه وروحه، فتتفاعل مع فكره، ومن ثم تنشأ عصارة ذهنية جيدة تنساب على أسلات يراعته

أدبا يفيض حيوية وفنا . . وهذه التجارب . . وهذه الحصائل تكوّن وحدة فكرية لصاحبها لا يجوز الفصل بينها بحدود من السنين . . أي إنه يمر بعدة مراحل تنتهي فيها إلى مرحلة النضج والكمال التي غالبا ماتكون بعد فترة الشباب .

وأدب الشباب لا يجوز أن يعطي السمة النهائية، لأنه أدب لايزال آخذاً بأسباب النمو والكمال . . كما لا يجوز إعطاء أدب الشيوخ السمة المجردة من آثار الماضى، أي الشباب، لأنه إمتداد لخطه ورسو به على مرفأ النضج والكمال واليقين .

أدباء الرعيل الأول، في أي جيل وفي أي بلد عربي، كانوا شبابا يصعدون السلم بعـزيمة وحيوية فأصبحوا شيوخا يقدمون عطاءهم الثر لأخلافهم على أجود مايكون التقديم والعطاء .

وماكان جديداً بالأمس أصبح اليوم قديما . وجديد اليوم سيصبح قديماً غداً . ولا يضـير القـديم أنـه قديم، ولا يرفـع من شأن الجديد أنه جديد بل العبرة بالفحوى والمضمون .

والموضوع الواحد، أو الفكرة الواحدة يطرقها الأديب أو الأديبة، فلا تجد فارقـا في الكتابة بين الجنسين، اللهم سوى فارق الذاتية . . أي فارق القدرة الشخصية على استيعاب الفكرة وبراعة تصويرها للآخرين . . وهذا الفارق يقوم على سعة الثقافة والتجربة والإدراك . . وليس هناك أدنى اعتبار لجانب الذكورة والأنوثة .

إن الحديث عن هذه التصنيفات إنما هو تقليد مستورد ترسمنا فيه خطى بعض الأدباء العرب الآخرين من الشباب الذين أرادوا أن يبنوا لأنفسهم مجدا أدبيا من أقصر سبيل . . وهو ـ بالنسبة للأدب وللحركة الفكرية ـ نوع من اللغو، لا مصلحـة للأدب فيه . . وظاهرة من ظواهر المجادلات العقيمة التي مني بها

الأدب، وصرفته عن تلمس الموضوعات الفكرية الخليقة بالدرس والنقاش.

وحري بحملة الأقلام من الشباب أن ينأوا بأقلامهم عن هذا المنعطف، وأن يوجهوها إلى الوجهة الأدبية الايجابية التي من شأنها أن تدعم المسيرة الفكرية وتسهم في ازدهار الحياة الأدبية ورواجها.

اليمامة/ العدد ٤٣٣ في ١٣٩٧/١/٢٤هـ.

حـــول الشـــعر الشـــعبي

أتمنى لو رزق الأدب الشعبي بباحث ذي قدرة خاصة يغوص بين فنونه، ويستخلص منه تاريخاً يعوضنا عما أهمله التاريخ. ذلك أن تاريخ أواسط الجزيرة العربية منذ القرن الرابع الهجري وحتى القرن الثاني عشر تقريبا يكاد يكون في حكم المجهـول.. بيد أن الشعـر الشعبي «النبـطي» يحفـل بكثير من الصور الاجتماعية والفكرية، وربما السياسية، التي من شأنها أن تفصح لنا عن كثير من حيوات البـلاد والنـاس.. ولا يستطيع أن يجلو هذه الصور ويخرجها في قالب تاريخي إلا عالم باحث متمكن، وهذا مايحتاجه هذا الشعر، وما يحتاجه أيضاً الكثير من الأمثال العامية.

وليت المجلس الأعـلى للآداب والفنـون يتبنى فكـرة كهذه يخدم بها وجه التاريخ والأدب، لأن مثلها ـ على ما أحسب ـ من صميم مهماته.. وإن كان هذا المجلس لم يباشر مهماته حتى الآن!!.

وكـما أننـا سنجد في هذا الشعر مادة تاريخية جيدة، فإن فيه أيضاً أفكاراً اجتماعية وأدبية، وخاصة في شعر الفحول من شعرائه، لا تقل بحال عن الأفكار الأدبية والاجتماعية التي في الشعر الفصيح.. ذلك أن مورد الشعرين واحد، ومصدرهما واحد، والحياة الذهنية والاجتماعية لأصحابهما واحدة.. والفارق بينهما هو في اللغة.. وعلى رأي بعض الباحثين فإن العامية هي درجة من اللغة تمتد جذورها إلى عصور متقدمة، أي أنها تعيش عند العرب إلى جانب الفصحى، وليست إنحطاطا لها، ولا يعني هذا الدعوة لشيوع العامية.. فالعامية، على أية حال، مظهر فرقة بين العرب، والفصحى وشيجة الإخاء الكبرى فيما بينهم.

اليمامة/ العدد ٤٣٤ في ٢/٢/١٣٩٧هـ.

العلم للعلم.. والعمل

من الظواهر العابرة التي يلمسها المرء لدى البعض من طلاب العلم فقدان الروح العلمية في وجدانهم وإعتبارهم الدراسة وسيلة للحصول على الشهادة التي تؤهلهم للإلتحاق بوظيفة ما أو تهيئهم لعمل من أعمال الحياة.

ولا شك أن البحث عن «مصدر الرزق» مطلب طبعي وشرعي ولا غبار عليه... لكن المأخذ والملام على إحساس الطالب بأنه في دراسته يؤدي عملاً «رتيباً» ينتهي به إلى الحصول على الشهادة وعزوفه عن حياة البحث الجاد الذي يقوي من تحصيله العلمي.. ومن هنا تجده ـ وقد تخرج ـ يبدو هزيلا في مجال تخصصه، ضحلاً في أفكاره العلمية، ومن هنا أيضاً تجده موضع شفقة من الآخرين.

وليت الجامعات والمعاهد المتخصصة تولي هذا الجانب الخطير شيئاً من اهتمامها فالشهادة ليست هدفاً، وإنما الهدف الحقيقي هو إيجاد الشخص المليء علما بمادته والقادر على الإبداع والبناء، لأن مثل هذا الشخص هو عماد أمته ووطنه.

اليمامة/ العدد ٤٣٤ في ٢/٢/١٣٩٧هـ.

لماذا أدبنا ضعيف؟

ظل أدبنا المحلي هامدا ضعيفا في جملته، لا يكاد يلمح من خلاله المتتبع لمسيرته وثبة تطويرية ذات بال، إلا لماماً، وعاش معظم أدبائنا ـ ولا أقول كلهم ـ حالة جمود ذهني، مع أننا أخذنا بأنصبة غير قليلة في مجالات النهضة الأخرى، وقطعنا أشواطا بعيدة في ميدان التعليم، وأصبح لدينا جامعات تحتضن كليات متخصصة في فنون الأدب ومايتصل به من علوم نظرية أخرى وأضحى لدينا أساتذة و «دكاترة» متخصصون في شتى صنوف الآداب ويتخرج على أيديهم عشرات، بل مئات من الدارسين. .

فكيف يكون أدبنا ـ بعد هذا ـ ضعيفا؟ ولماذا ظل المستوى الأدبي لدينا أدنى من المنشود بمراحل؟ .

سؤال يبحث عن جواب . . حقا .

غير أن من يلقي نظرة شاملة فاحصة على النتائج الأدبي المحلي، من خلال ما تنشره الصحف والمجلات ومن خلال المؤلفات التي قدمها أربابها، خلال الخمسين سنة المنصرمة، سرعان مايدرك السر الكامن في حال الأدب وفتوره وضعفه وتدني مستواه وقصوره في معظم أوجهه عن بلوغ الغاية المرجوة منه .

وألتمس من إخواني المعذرة إذا كنت قد جاوزت حدود «اللياقة» الأدبية بمثل هذه التعبيرات، إلا إنه إذا صح لي أن أعتبر نفسي أديبا فإن الحكم بضعف الأدب يشمل ـ فيمن يشمل ـ صاحب هذا القلم الذي يدلي بهذا الحكم الآن!! .

وإذن، فإن هذه المقالة إنما اعتبرها من باب النقد الذاتي، والنقد الذاتي ـ كما يقولون ـ هو المدخل الأمثل إلى تقويم الأمر وتصحيح الخطأ وتحقيق الاكتمال والنضج .

أقول: إن بقاء أدبنا ضعيفا هزيلا في عمومه، إنما يُعزى - في الحقيقة - إلى أسباب رئيسية جوهرية لازمتنا نحن الأدباء - وعفوا لهذه الصيغة - ومازالت تخنق الطموح الأدبي، وتجعل من أدبنا هلاما كسيحا قليل التأثير والفاعلية . . ! .

وهذه الأسباب هي :

أولا : إن صلتنا ضعيفة بآدابنا العربية القديمة، ولا سيما الآداب المزدهرة منها، فنحن لا نتعمق كثيراً في دراسة هذه الآداب، ولا نعاود النظر فيها، ونكتفي منها بنظرات محدودة ودراسات عجلى، ولا نسترسل معها في استكشاف معادنها واستكناه حقائقها، وحظنا منها لمحات خاطفة غير مركزة لا تسمن ولا تغني من جوع، ونحسب أن الآداب العربية القديمة منجم غني ومعين ثر لتكوين بيئة أدبية خصبة ولتنمية روح فكرية صافية، وبدونها يصبح أدبنا مشلولا في جزء من تكويناته ونفتقد شخصية الأديب العربي . . العريق الأشم .

ونحسب أيضاً، أن حاضرنا هو إمتداد لماضينا، وأن استيعابنا لأصالة المعاني، وسمو الطباع، ونبل المشاعر، التي عاشت بها أمتنا بالأمس، هي ضرورة لتكويننا الفكري والاجتماعي، وأنها جميعا يجب أن ترتبط بحياتنا اليوم أوثق إرتباط .

ومن هنا، ندرك مدى أهمية دراسة آدابنا القديمة، دراسة وافية مستفيضة، وندرك كم هو مخجل أن تكون صلتنا بهذه الآداب ضعيفة ! ! .

ثانيا : إن صلتنا بآداب الأمم الأجنبية مفقودة، أو تكاد تكون كذلك . . اللهم إلا بالنسبة لنفر قليل جدًّا من الأدباء، ولبعض أساتذة الأدب في الجامعات الذين قدر لهم أن يدرسوا تلكم الآداب . . بيد أن أستاذ الأدب لا يعني بالضرورة أنه أديب، فمدرس الأدب غير محترف الأدب ! .

وبدهي أن الآداب الأجنبية تختزن أفكارا حية، وتحتوي أنماطا من أساليب

التجديد والإبداع قمينة بأن يطلع عليها أدباؤنا وأن يفيدوا منها على أتم ماتكون الاستفادة.

وهذه الصلة المفقودة، مع تلك الآداب، قد حرمت أدبنا كثيراً من عناصر القدرة على الحركة والمرونة والابتكار، وجعلته يعيش داخل قوقعة مغلقة لا يستطيع بسببها أن يجدد الهواء ولا أن يهضم أفكار الحياة المعاصرة هضما سليما.

وحتى الآداب الأجنبية المترجمة إلى العربية لا يقبل أدباؤنا على قراءتها واستيعابها كما يجب، بل يعتبرها معظمهم من النوافل ولا يرون ضرورة لمتابعتها والاستمتاع بما تضمه من أفكار ومعان وصور.

ثالثا: يعاني بعض الأدباء ـ أو بعض المنتسبين للأدب ـ من ضحالة في الثقافة العامة، إنعكس أثرها على مايكتبونه، فبقي أدبنا سطحي الفكرة، عادي المضمون، خاليا من أسباب النمو والحياة.

ومعلوم أن الثقافة هي زاد الأديب، ووقود يراعته، وسر حيوية أدبه. ومتى خلا وفاض الأديب منها فلا نتوقع منه حصيلة أدبية جيدة خليقة بالقراءة.

رابعا: إنعدام الهدف الفكري والاجتماعي للكتابة عند بعض الأدباء.. إذ نجد أن هناك من يكتب أشياء لا نكاد نعرف لها غرضا ولا نكاد نعرف من خلالها: لماذا كتب الأديب موضوعه؟ وماهي الغاية منه؟ بل لا نكاد نعرف لها رأسا من ذيل! حتى ليخيل إلينا أحيانا أن ذلك من قبيل «شهوة الكلام» وحسب.

و «شهوة الكلام» داء يستوجب العلاج! والأدب، بدون أسلوب واضح، وبدون هدف جيد، يعتبر ضربا من العبث والهذيان!.

خامسا: انعدام الروح المتجردة البعيدة عن الهوى والعاطفة.. فالمعروف

من خلال تجاربنا النقدية والأدبية أن البعض ينساقون وراء عواطفهم الخاصة إنسياقا أعمى ويتمادون في هذا المضمار تماديا مزريا كانت نتيجته فقدان النقد البناء السليم، ورواج سوق المهاترات والمنابزات وبذاءة القلم.

وإنه ـ بفقدان النقد الموضوعي ـ يظل الأدب هزيلا عليلا، تعتوره شتى الآفات، لأن النقد المتجرد هو الذي يقوّم الأدب، ويمايز بين غثه وسمينه، ويعطي لكل ذي حق حقه.. وبالتالي يسهم في بناء أدب ناضج.

سادسا: وقوف بعض أدبائنا عند نقطة السمعة والشهرة.. فمتى أصبح الأديب معروفا ومشهوراً، فلا يعنيه ـ بعد هذا ـ أن يطور نفسه أو يجدد حيويته أو يقدم عطاءا فكريا جيدا.. بل يكتفي باجترار الماضي وبرصيده الاحتياطي عند قارئيه.

أما بعـــد:

فلعلنا بهذا الكلام قد أجبنا على سؤال ظل يتردد على الذهن.. ولعلنا ـ ثانيا ـ لم نغضب أحدا من زملائنا ـ بل أساتذتنا ـ حملة الأقلام!.

وحسبنا من هذا، أننا نهدف إلى خلق أدب محلي، يتسم بالاكتمال والنضج والفاعلية والصراحة، ويكون صالحا للتصدير إلى خارج الحدول.

ولسنا ننكر ـ أخيراً ـ أن هناك من أدبائنا من استطاع التبريز في ميدانه تبريزا نال به تقدير الآخرين واعجابهم.

وحديثنا عن ضعف أدبنا المحلي إنما يتناول هذا الأدب في عمومه.

الرياض/ العدد ٣٩٧٠ في ١٣٩٧/٥/٩هـ.

مع ابن خميس.. على ربى اليمامة

ليست هذه، في الحقيقة، دراسة أدبية، بالمفهوم النقدي الحديث. . وإنما هي مجرد إنطباعات خاصة خطرت لي أثناء مطالعتي لديوان الأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس «على ربى اليمامة». . وهي أيضًا إستعراض لأهم معالم الديوان.

وقبل أي شيء، فالأستاذ ابن خميس ليس بالنكرة على قراء الأدب وعشاقه، وخاصة في هذه البلاد، فهو قد طرق ميدان الشعر منذ أكثر من ثلاثين عاما، وقد قال في سنوات شعره الأولى أبياتا وقصائد قمينة بأن يصدر بها ديوان شعر خاص يمثل المرحلة الشعرية الأولى لديه.

ولئن كان نصيب أشعاره المتقدمة الوأد والنسيان ـ كما قال وكما فعل ـ فهذا في نظرنا خطيئة من الشاعر في حق بنات أفكاره مهما كان رأيه في مستواها. . وقد كنت أراها محاولات طيبة وناجحة، وكنت قرأت كثيرا منها في جريدتي «البلاد السعودية» و «المدينة المنورة» وفي مجلة «المنهل» تارة تكون بإسمه الصريح، وأخرى تحت توقيع «فتى اليمامة». . وهو التوقيع الذي اختفى في السنوات الأخيرة ولا ندري لماذا لم يعد الشاعر يستسيغ هذا التوقيع؟ وهل مرد هذا أن الشاعر قد رأى سني الفتوة والشباب تتصرم بين يديه؟ إن شاعرنا ـ والحمد لله ـ مازال شاب الفكرة والروح والطموح.

وقصة الشعر مع شاعرنا ـ كما يقول في المقدمة ـ قصة بدأت بالقراءة والتذوق والحفظ والمتابعة وتنمية الملكة. . وكان هذا إرهاصا لبعث شاعر يمامي جديد سينضم إلى قافلة أعلام الشعر اليمامي، التي تكونت على مر الأحقاب والتي ضمت، فيمن ضمت، الفند الزماني، والأعشى، وجرير بن الخطفى، ومروان بن أبي حفصة، والعباس بن الأحنف، ومحمد بن عثيمين.

ولقد جاء صدور الديوان الأول للشاعر متأخرا عن أوانه، إذ المفروض أن

يخرج في وقت مبكر، وأن يضم شعر المرحلة الأولى كما قلنا.

والقصائد المنشورة في الديوان هي ما رضى عنه الشاعر بعض الرضا ورشحه للنشر ومع هذا فالشاعر يقول: «ماكل مايرضى عنه منتجه يستحق الرضا من قارئه».

ولم يراع الشاعر في ترتيب ديوانه التمييز بين شعره القديم وشعره الحديث.. بل سلك الجميع في أغراضها وترك لذوق القاريء مهمة التمييز.

ولعله كان من الأفضل لو جاء ترتيب القصائد ترتيبا زمنيا، ليكون هناك أمام القاريء مجال لمتابعة حركة النمو لشاعرية الشاعر.. ولعله كان من الأفضل أيضا لو أن الشاعر وضع الزمن والمناسبة اللتين قيلت فيهما كل قصيدة إذ يخلو كثير منها من ذلك.

والديوان مطبوع في مصر، وطباعته سيئة وغير متقنة.. وقد امتلأت بكثير من التطبيعات التي نجزم بأنها قد ضايقت الشاعر وآذنته.. وليته قد عُني بطبعه طبعا جيدا ومناسبا.. خاصة وأن الطبع قد تم باشراف الشاعر نفسه.

وينتظم الديوان مجموعة من القصائد والمقطعات بوبها الشاعر حسب موضوعاتها في أبواب تسعة هي: اسلاميات، فلسطينيات، ذكريات، شعر الطبيعة، وجدانيات، اخوانيات، مداعبات، المراثي، متفرقات.

لكن الشاعر في نظرنا، لم يسلك بعض هذه القصائد في الأبواب التي يحسن أن يسلكها فيها.. بل سلكها في أبواب أخرى.. ولعل له في ذلك وجهة نظر خفيت علينا.

وقد أسمى الشاعر ديوانه باسم إحدى قصائده «على ربى اليمامة».. ويبدو أن هذه القصيدة هي الأثيرة لديه، مع أنها كما نحسب، ليست أحسن مافي الديوان ولعل ارتباط الشاعر باليمامة ووديها الأفيح وجبلها الأشم وولعه بتاريخها

ومجدها، لعل ذلك هو ماجعل هذه القصيدة ذات حظوة خاصة لديه، فاسمى بها ديوانه . . وإن كانت قصائد الشاعر ـ أي شاعر ـ هن بمنزلة أولاده، والأولاد جميعهم أثيرون على قلب الأب.

والقصيدة تحكي قصة هذا الجبل العتيد «طويق» مع الزمن والتاريخ . . ويخاطب فيها الشاعر هذا الجاثم بالكبرياء، والذي ظل يافعا جلدا، تفنى أمامه الأجيال والأحداث منذ عهد «طسم» و «جديس».

وقد سلك الشاعر هذه القصيدة في باب «شعر الطبيعة» وكان حرياً به أن يسلكها في باب «الوطنيات».ومثلها في ذلك قصائد «طود اليمامة» و «في وادي ابن عمار» و «من وحي عسير» و «حائل» و «أخت لبنان» حيث تفيض هذه القصائد بمشاعر الوطنية الملتهبة الصادقة.

وأروع قصائد الديوان، بل أجرؤها قصيدة «شهيد تل الزعتر» . . وأكاد أقول أن هذه القصيدة تعتبر من أصدق ماقيل في الأحداث العربية الأخيرة ومن أكثر ما قيل صراحة، حيث انفعل الشاعر مع تلكم المعركة أو المذبحة، إنفعالاً كبيراً وكريماً بدا واضحاً وجليًّا في كل بيت ومقطع، بل في كل حرف من حروف القصيدة.

ولعل مناسبة القصيدة من المناسبات التي لم يتطرق لها الشعراء العرب كثيراً مع أنها قد هزت وجدان كل عربي ومسلم.

ومن جيد شعر الديوان، قصيدة «هذه الجزيرة» وقد قالها الشاعر بمناسبة الانتهاء من تعبيد طريق الحجاز ـ الرياض سنة ١٣٨٦هـ ولم يرد ذكر تاريخها ولا مناسبتها في الديوان.

ومع أن الشاعر ابن خميس كثير الاسهام بشعره في المناسبات، إلا أنه لا يلقي بشاعريته في دائرة القول التقليدية للمناسبات، فهو قادر على أن يلبس

القصيدة رداء أدبيا جميلا وأن يجعل منها عملا شعرياً حيًا. . فلقد استهل الشاعر هذه القصيدة ـ مثلا ـ استهلالا شاعريا لطيفاً، وصور حالة المتنقل بين ربوع الجزيرة قبل أن توجد السيارة والطرق المعبدة:

لو أباحت لما لديها الطلول ... أي شيء تبينه أو تقول؟
واكبتها من الحياة ضروب ... وامتطاها من الأنام شكول
تشهد العيس حسرة من وجاها ... شفها الوخد والسرى والذميل
ضامرات كأنهن العراجين ... طواها بعد التموك النحول
يسكب القوم فوقها كل لحن ... تتناعى من سحره وتميل
ضاربات مابين (هجر) و (حجر) ... وبأعناقها البطاح تسيل
تترامى بمن عليها الموامي ... ولكم أخفقوا وخاب الدليل!
ولكم روعوا. . وما الروع إلا ... ما انطوى ـ عادة ـ عليه السبيل
لا من الغول والشياطين لكن ... تتنزى من الأنام الغول. .

إنها صورة بارعة ووصف حي لرحلة مرعبة في ماضٍ ولى وأدبر، أعقبه عهد جديد رغيد حافل بأسباب الأمن والرخاء والبناء، سلكت فيه الدروب واطمأن به الغادي والرائح:

واخاء ما بين بحر وبحر ... بينها البيد والربى والسهول

ومن عيون شعر الديوان أيضاً، قصيدة «مأساة جلاجل» وهي خليقة بأن يقف المرء عندها طويلا. . والقصيدة من أحدث قصائد الشاعر، وهي تأتي استجابة لتأثره الشديد الأليم بحادثة سقوط مدرسة جلاجل على طالباتها نتيجة لقدمها وللاجراءات الإدارية المعقدة. . وقد صور الشاعر هذه الكارثة تصويرا مأسويًا عميقاً، حيث هزت النكبة مشاعره واحاسيسه، مثلما هزت مشاعر كل المواطنين وأحاسيسهم، وحيث انفعلت بها شاعريته انفعالا كانت احدى

حصائله هذه القصيدة التي تعد صورة، وأي صورة، للمأساة . . صورة الزهرات الصغيرات وقد بكرن إلى حتوفهن:

بكـرن يبـادرن القضـاء المحتـما فرادى إلى دار الحـمام وتـوأمـا
تقمصن زي العلم أفواف سندس وعـدن بممسـوح الإهـاب معندما
شوادن أمثـال الـزهـور نضـارة وقـطف الخـطى اما تبارين كالدمى
قضـين مع الليـل المجنح خطوة وداعـبـن من آمـالهـن المكتـما
وعشـن مع الأقـلام والكتب تارة وأخـرى مع الأحـلام حتى تجرمـا
ومـاضحـك الصبح الجديد بشاشة ولـكـنـه مستـأسـد فاغـر فما!
ومـا أمكن التـوديـع إلا بنـظرة على عجـل لو أنها قتـلت ظمـأ
ومـاكـان أقسى من وداع مفـارق تكظ له العـين المـودعـة الـدما!
ومـابـرح «التعقيـد» يلعب دوره ويحكـمـنـا ماشـاء أن يتحكـما!
فأمـلى ولـكـن الـزمـان غريمـه وأهـوى ولكن بالحتـوف وبـالدما!
فلسـت ترى الا تسـاقط أنـفس وتـلا على وجـه الصعيـد مدمـدما
و «مـدفـونـة» تبدو ذوائب شعرها وكفـا خضيـا بالـدمـاء ومعصـما
وشـلواً يواريـه الـتراب ممزقـا ووجهـا احـالتـه المنيـة أسحـما
و «محـرورة» مذعـورة طار لبهـا رماهـا من الخـطب المبرح مارمى
تبث الـدمـوع المستجيشـة حزنها وتستـنـطق الأنقـاض علّ وربـما!

إنها لمشاعر جياشة، تأتي في القمة من الإنسانية والوطنية . . وحسب علمي فإن ابن خميس هو الشاعر السعودي الوحيد الذي صور هذه المأساة.

ورب قائل يقول: لقد أتيت على بعض معالم الديوان الجيدة، ولم تأت على معالمه التي تمثل الوجه الآخر . وهذا القول في محله . . فالواقع أن الشاعر المجيد - على مدى عصور الشعر العربي - لايكون شعره جميعه جيدًا بالضرورة . والأستاذ ابن خميس واحد ممن يمثلون هذه الظاهرة الأدبية . . وهي ظاهرة صحية على أية

حال. . ولسنا ننكر أن لإبن خميس قصائد لا يرقى مستواها إلى مستوى القصائد التي اشرنا إلى بعضها آنفا.

في الديوان ـ مثلا ـ باب للوجدانيات، أو عبث الصبا كما أسماها الشاعر. . ومن الوهلة الأولى لقراءة قصائد هذا الباب يلمس القاريء فتورا عاطفيا وتكلفا في التعبير عن مكنون الوجدان، إن كان هناك مكنون وجدان أصلا. وأكثر قصائد هذا الباب قصيرة النفس، بل تكاد تكون أشبه بالمقطعات، وتنتابها أسباب الضعف والهزال. والصور الغزلية في أكثرها صور مطروقة ومألوفة، فهي لا تخرج عن صور التشبيب والغزل التي يدهق بها الشعر العربي منذ قديم عهده.

وعلى أية حال، فإن مستوى شعر ابن خميس الغزلي هو دون مستوى شعره الوطني أو السياسي. . ولعل ذلك راجع إلى أن عناية الشاعر بالجانب الجدي من الحياة هي أكبر من عنايته بالجانب الآخر لها!.

وبين يدينا في الديوان ـ وهذا مثل آخر ـ قصيدة بعنوان «النشيد الوطني» وهو نشيد جيد العبارة والمضمون. . لكنه يفتقر إلى خفة اللفظ والجرس وإلى سهولة التعبير وإنسيابية الموسيقى. ذلك أن أي نشيد يجب أن يكون مفهوما للعامي، يردده مع نفسه، قبل المتعلم. . ولن يتسنى ذلك مالم يكن هذا النشيد بعيدا عن أية صعوبة لفظية أو معنوية.

والصعوبة التي نعنيها هي صعوبة نسبية لا يعاني منها سوى العامي الذي لن يفهم معنى مثل هذه الكلمات أو التعبيرات: «هامة الشعرى، أفواف، الأساطين، الذرى، تمتري أكنافها».

إن أي نشيد إنما يوضع ليردده وليفهمه أفراد الأمة، على اختلاف فئاتهم، ولهذا يجب أن يراعى جانب الوضوح والبساطة سواء في اللفظ أو العبارة عند كتابته. والأستاذ ابن خميس حفي في شعره بانتقاء الألفاظ الفخمة والأساليب الجزلة مترسما في هذا خطى الشعر العربي القديم. . حتى صوره الشعرية تأتي

استيحاء لصور الشعر العربي.

وحفاوته بألفاظ الشعر العربي وبأساليبه وصوره تعود إلى تمكنه من الثقافة العربية والإسلامية وإلى دراسته لآداب العرب وأشعارهم دراسة جيدة ومتضلعة.

وشعر الديوان يلتزم قوانين الشعر العربي ـ قافية وعروضا ـ إلتزاما دقيقا ومخلصا، لا يحيد عن ذلك قيد أنملة.. ويعتبر شاعرنا من ألد خصوم الشعر المطلق الذي شاع في الخمسين سنة الماضية.. وهو الشعر الذي لا يأبه بقيدي الوزن والقافية والذي أثار جدلا في الحياة الأدبية المعاصرة.

ونحن نشاطر ابن خميس إلتزامه بمنهاج الشعر العربي في التقفية والميزان، انطلاقا من أن الشعر مضمون وصورة، فالمضمون جودة في الموضوع والغرض، والصورة ـ ونعني بها الوزن والقافية ـ هي الشكل الجميل الذي يبرز لنا المضمون ويضفي عليه لباسا متسقا يحببه إلى الذهن والنفس، ويجعل منه فنا جميلا خالدا هوالشعر.

أما صورة مايسمى بالشعر المطلق، أو المنثور، فليست لها هذه الخاصية.. فضلا عن كونها مدعاة لجلب الاضطراب والخلط بين الشعر والنثر.

على أن هذا لا يعني ـ في نظري ـ أن مايسمى بالشعر المنثور ليس من الأدب. بل قد يكون من جيد الأدب لكنه يظل أبداً منسوبا إلى باب النثر وليس إلى باب الشعر.. لأن للشعر قوانينه وأصوله ومقاييسه.. وهي تختلف عن قوانين النثر وأصوله ومقاييسه.

ولا يعيب الشعر المنثور أنه نثر وليس شعرا، فالنثر صنو الشعر وخدينه!.. ومن غرائب الأمور أن يتحمس أرباب الشعر المطلق لاعتباره شعرا، وما دروا أن النثر لا يقل منزلة عن الشعر..!.

وبعـــد:

فعلنا بهذه الانطباعات الخاصة التي عنت لنا، عند مطالعة ديوان الشاعر عبدالله بن خميس، لم نثر غضبه ولم نثر غضب أحد من القراء.

مجلة اليمامة/ العدد ٤٥٠ في ١٣٩٧/٥/٢٥هـ.

أهي أزمة في الثقافة والفكر..؟!

من نافلة الحديث، أن نقول أن الثقافة قوة وطنية، ذات شأن عظيم، وتأثير خطير في حياة الأمم والشعوب، وأن المثقف عنصر من عناصر الحضارة، لا يجب إغفاله وتناسيه، ولا إهمال أمره، إذ هو يزود أمته بمعرفة أثرى وبتفكير أصفى، ويسهم في تنمية ذوقها وتربية احساسها. ولهذا كان أمر الثقافة والمثقف مهماً، وجديرا بالحديث والنقاش. ولهذا أيضاً يعز على أي مخلص غيور أن يرى الثقافة في بلاده تعيش واقعا هزيلا ومريرا.

وإذا ماراح المرء يبحث عن الأسباب الكامنة وراء هذا الواقع ـ والحديث هنا عن واقع الثقافة في بلادنا ـ فإنه لن يجد من سبب وراء ذلك سوى تدني المعايير الثقافية التي نمايز بها بين الجيد والرديء في المحيط الفكري، وإنعدام الرؤية الصحيحة للتفريق بين المثقف ونصف المثقف، وترك الحبل على الغارب لمرضى الكلام ليقولوا مايشاؤون ولينصبوا من أنفسهم مفكرين وفلاسفة وروادا للثقافة. ثم طغيان الماديات عموما على الجوانب المعنوية والنفسية والروحية وخذلان المثل العليا على نحو يبعث ـ في كثير من الأحيان ـ على الألم والامتعاض.

وحسبك بها من أسباب تحيل همة المثقف إلى فتور، وإيجابيته إلى سلبية، وتخمد فيه جذوة الحماسة والطموح والعطاء.

ولقد أعان على نمو هذه الظاهرة أو الأسباب ـ ونقولها بصراحة ـ صحافة بلادنا نفسها، بسبب مايعاني منه بعضها من نقص في الكفاءات المتخصصة، حتى لقد أصبح من الصعب على المثقف ثقافة أدبية عالية ـ مثلاً ـ أن يتعامل مع محرر أدبي، في صحيفة ما، لا يكاد يعرف من الأدب سوى القليل من «أبجدياته»..!.

وقد جرني إلى هذا الحديث، ظاهرة من ظواهر العقم الثقافي التي نشهد أمثلة لها يوما بعد آخر. . وأعني بها ظاهرة التسيب في التأليف. . ولهذا سوف أفرد لها الكلام في هذا الحديث. . ضاربا صفحا عن الظواهر الثقافية العقيمة الأخرى. . لأن حركة التأليف تعد المظهر الثقافي الأول. . ومايسري عليها من حكم يسري على غيرها من أوجه الثقافة وفنونها.

وإنه يؤلمني جدًّا أن يغضب حديثي هذا عددا من المنتسبين إلى عالم الثقافة والتأليف. . ولكن ماحيلتي ورائدي الأول هو إزدهار الثقافة نفسها؟!.

* * *

أطالع - بين آونة وأخرى - بعض المؤلفات السعودية التي دفعت بها المطابع مؤخرا. والتي تتفق ودراستي. وتنسجم مع ميولي - أطالع هذه الكتب. فأحس في قرارة نفسي بشيء من الخجل والخيبة يملآن جوانحي. . كما استشعر الخجل والخيبة أيضاً عندما أتذكر أن هذه المؤلفات - وهي معروضة على أوسع نطاق سوف يقرؤها المثقفون والمفكرون والمتخصصون في العالم العربي وأتساءل - بيني وبين نفسي - ماذا سيقول الآخرون عنا، وبماذا سوف يحكمون على مسيرة الحياة الفكرية والأدبية والثقافية في هذه البلاد وهم يشاهدون هذا «الغثاء» الذي تطفح به هذه المؤلفات. وتلك «الفجاجة» التي تكتنف ذلك النتاج. . ؟!.

ولن يحجب الحقيقة، أو يخدع القاريء أن يكون مظهر الكتاب خلابا وأنيقاً. . حيث الطباعة الفاخرة، والإخراج الرائع، والورق الصقيل. . وحيث لا يكاد ينقصه شيء سوى الموضوع الجيد والمعاناة الفذة. . فهو - أي الكتاب - يشبه تلك المدارس التي عناها خير الدين الزركلي - رحمه الله - بقوله:

ومدارس ماكان ينقص حسنهن سوى العلوم

ومما يزيد الشعور بالخجل والخيبة مرارة وأسى، أن نجد جانبا من تلكم المؤلفات يحمل أصحابها أعلى درجات التأهيل العلمي. . أعني أعلى

الشهادات . . وإن كانت هذه الشهادات قد تمت عن طريق المراسلة فلم يتجشم صاحبها عناء ولا مشقة . . اللهم إلا خلال أيام قليلة جدًّا سافر أثناءها لمناقشة رسالته الكريمة . . ! .

* * *

ماعلينا ! . فلنعد إلى موضوع التأليف والمؤلفين . . ! .

* * *

ولكن ـ وقبل التبسط في الموضوع ـ أحب أن أؤكد بأن حكمي هذا لا يعني التعميم . . ذلك أنه من باب الانصاف أن نقول أن هناك العديد من المؤلفات السعودية هي ـ بدون جدل ـ ذات مستوى جيد . . من حيث العمق في الفكرة، ومن حيث المعـانـاة في البحث، ومن حيث القدرة على الاستيعاب والاستيفاء والإحاطة، ومن حيث أهمية الموضوع والمساهمة في إثراء الحياة الفكرية، وأخيراً من حيث جودة اللغة والأسلوب وبراعة المنهاج .

هذه المؤلفات الخارجة عن حكمنا، من حق المثقف السعودي ـ بل العربي ـ أن يعتـز بها وأن يفخر . . لكنها ـ مع الأسف ـ لا تمثل إلا النزر القليل من مؤلفاتنا المحلية .

* * *

وبقدر ما أصبح بعض الشهادات رخيصاً سهل المنال، وخاصة فيما يسمى بالبلدان النامية أو دول العالم الثالث ـ بقدر ما أصبح التأليف ـ هو الأخر ـ سهلا ورخيصاً . حتى لقد أصبحت «أمية» المتعلمين ـ إن جاز التعبير ـ الظاهرة الأولى التي تسود الحياة العلمية والثقافية في هذه البلدان . وهي ظاهرة إن لم تجر معالجتها وكبح جماحها بصرامة فسوف يكون لها أسوأ الأثر في مستقبل هذه البلدان .

وما يقال عن الكتب والمؤلفين، يقال ـ بطبيعة الحال ـ عن المقالات والقصائد

والبحوث والدراسات التي تزخر بها بعض مجلاتنا وتعج بها أعمدة صحفنا وتفيض بها موجات الأثير عبر برامجها، والتي تتحول في نهاية المطاف إلى كتب ودواوين حتى أن بعض القائمين على هذه الأمور ـ ونقولها في حسرة ـ ماعاد يهمه مستوى المقال أو القصيدة، ولا جودة الدراسة أو البحث، بمقدار مايهمه من هو الكاتب ومن هو الشاعر. . وحتى أصبح الإنتاج مبنيا ـ في كثير من حالاته ـ على مركز صاحبه الاجتماعي أو الوظيفي. ونتيجة لهذا أصبح من مقاصد الكاتب أو الشاعر الأساسية أن ينشر مقاله أو قصيدته في مكان بارز من الصحيفة بحيث تلفت إليه الأنظار. وربما اعتقد الشاعر أن من النقصان لحقه ومن النيل من قيمته الأدبية ألا تكتب قصيدته الغراء بريشة خطاط ماهر، يكتبها بخط الثلث الجميل وبأحرف بارزة وكبيرة تمكن القاريء من قراءتها على مسافة عدة أمتار! . ومن المهم لديه أن تحتل القصيدة، ولو كانت قليلة الأبيات ـ أقصد السطور فقد اختلت الموازين في عالم الشعر اليوم! ـ صفحة كاملة من الصحيفة كما أن من المهم أن تتوسط الصفحة صورة له ذات وضع يوحي بالانغماس في التفكير. . أي على شاكلة بعض صور أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومطران خليل مطران! . . ولا بأس أن تتصدر القصيدة مقدمة نثرية من إعداد المحرر لفتح شهية القاريء. . أو على الأصح لنفخ أوداج الشاعر. . ولا يهم ـ بعد هذا ـ أن يبقى المضمون خاويا أو أن تنعدم المقومات الفكرية للأثر المنشور! .

أستغفر الله! . . فهنا أود ـ مرة أخرى ـ أن أؤكد بأن هذا الحكم أو الرأي الذي أسوقه ليس مطلقا. . فهناك العديد من المقالات الراقية الأسلوب والفكرة والمحتوى، ومن القصائد الرائعة المبدعة العذبة، ومن الأبحاث العميقة المستوعبة والتي تفرض نفسها فرضا على مدارك القاريء الحق، وعلى ذهنه وذوقه، وتجعله متلهفا في كل وقت إلى قراءتها.

وإذا كنا ننكر الأثر الفكري على أساس من هو صاحبه، فإننا بهذا نعني ضرورة ألا يتساوى الصحيح مع السقيم، ولا الأصيل المبدع مع المتكلف

المرذول.

إن التأليف، في هذه البلاد، يعيش تسيبا مذهلا ومتناهيا، بل هو متخبط في فوضى عجيبة لا حد لها. . ولربما كانت العلاقة بين المؤلف وموضوع كتابه في بعض الحالات مفقودة، فقد يكتب في أمور لا صلة لها بدراسته وتخصصه وبهذا كلف نفسه شططا، فأهدر طاقته إن كانت لديه طاقة، وأضاع على القارىء المتعة والفائدة والوقت. وهو إن كتب في مجال اختصاصه فلربما افتقر إلى ملكة الابداع والاتيان بالجديد، وكثيرا ماتراه يكتب في موضوع سبقه إليه عشرات المؤلفين، فلا تحس بأنه قدم إليك جديدا أو أنه أضاف إلى من سبقوه شيئا. . فهو يعيش عالة على من كتبوا في الموضوع قبله، بل هو يكرر آراءهم وأفكارهم بطريقة تبعث على الاشفاق والرثاء. . هذا إذا كان يرعى حق الأمانة العلمية وإلا فإنه لا يرى ضيرا في تبني جهود غيره وأفكارهم واستنتاجاتهم وكأنها من صنيعه. حتى الرسائل والبحوث التي تقدم بها أصحابها إلى بعض جامعاتنا ـ ونقولها آسفين ـ لم تخل من هذه المعرة. فلا جديد فيها ولا جدة، ولا معاناة أو جهد. . بل لا طعم لها ولا ذوق، وإنما اقتباس ومسخ. . فهذه الرسالة التي تقدم بها صاحبها الكريم عن القضية أو الموضوع الفلاني، أو عن الزعيم أو الشاعر العلاني ـ وهذا مجرد مثال ـ لا تعدو كونها نسخة ـ طبق أصلها ـ عن كتاب ألّفه، من قبل، أحد «الباحثين» عن هذه الشخصية أو ذلك الموضوع. . مع اختلاف في طريقة العرض توهم القارىء العادي بأن المؤلف الجديد قد قدم شيئا ما. . ولعل مما سهل هذا الأمر، وجعله مستساغا لدى أصحابه القدرة المادية على دفع تكاليف الطباعة والنشر بسبب توفر ذات اليد من ناحية، ولأنهم يدركون سلفا بأن هناك من سيشتري الكتاب ويضمه إلى مكتبته ولو من باب المباهاة بأن مكتبته تحوي الكثير من الكتب من ناحية أخرى.

وفوق هذا، فهناك بعض الأجهزة الحكومية التي تشتري المؤلفات بأعداد كبيرة، وبالسعر الذي يحدده المؤلف، حتى أنها لتكاد تلتهم جميع نسخ الكتاب

خلال أسابيع قليلة لتقذف بها في مستودعاتها للغبار والفئران. والقليل منها تلك التي تتكرم بتوزيعه على موظفيها وعلى غيرهم من باب تنمية الثقافة كما يقال. وفي أغلب الأحوال، فإن شراء الأجهزة الحكومية لهذه الكميات الضخمة لا يتم عن اقتناع بفائدة الكتاب أو مكانته، وإنما الأمر تقليد متعارف عليه، ومجاملة لصاحبه أو لصاحب الدار التي نشرته، ولأن في ميزانية الإدارة «بنداً» مالياً مخصصاً لتأمين الكتب وليس من المستحسن أن يعود هذا البند وفرا للخزينة في آخر العام!.

وهكذا يتحول التأليف إلى «بضاعة» رائجة يسيل لفوائدها لعاب المؤلفين فما أشد أن يموت الفكر!.. وما أقسى أن يكون الإنتاج الفكري وسيلة للظهور وللإرتزاق المادي!.

وهنا يقوم الدليل على أن كثرة النسخ المطبوعة من الكتاب، وتفاقم أرقام بيعه وتوزيعه لا يعنيان قبوله من القراء ولا رواجه حقيقيا.

ولا نشك أن التساهل في تقويم المؤلفات والاسراف في شرائها ـ أحياناً ـ وبدون أي ضابط يعتبر السبب الأول لتسيب التأليف ومايعاني منه من فوضى. على أن هناك سببا آخر لا يقل عن الأول ـ ألا وهو فقدان النقد الجيد وغياب الناقد المتخصص، الأمر الذي حال دون فحص الأثر وغربلته على أساس من التجرد والصدق والموضوعية ليبرز ما له وما عليه.. والذي أغرى الكثيرين، من شداة الثقافة وطلاب الشهرة، بالتأليف دونما حساب. ولو وُجد النقد الحصيف الذي يخشاه الجميع ويحترمونه في آن واحد، لما أقدم على خوض مجال التأليف وإحتراف الكلمة إلا من هو أهل لهما.

ولا نريد أن نتشاءم، فنقول أن غياب الناقد الحق ناتج من المشكلة التي تمخضت عن غياب المؤلف القدير المتمكن.. بمعنى أن الأمر يعني أزمة في الثقافة نفسها.. إذ أن هناك ـ على مايبدو ـ من يملك أدوات النقد بحق وجدارة ولكنه يتحاشى استعمالها حتى عند الضرورة.. وهذه إحدى معضلات الثقافة!.

وإلى جانب غيبة النقد.. يجب ألا يعزب عن البال أن غفلة المؤسسات المسئولة عن رعاية الآداب والفنون والعلوم ـ وما أكثرها! ـ قد خلق مناخا ملائما لفوضى التأليف وتدني مستواه، وبالاستهانة بآداب البحث وأصوله وبالضوابط المنهجية للبحث والتأليف، ولسنا بحاجة للحديث عن بعض المؤلفات التي نشرت بواسطة بعض هذه الجهات نفسها لندلل على عدم الاهتمام بهذا الجانب وعلى اللامبالاة التي أفسحت للجهل أن يتعمق.. وعفوكم لهذا التعبير.

* * *

وإننا لنحسب ـ من بعد ـ أنّ تعدد هذه الجهات، في حد ذاته، قد أسهم بصورة مؤسفة ومباشرة في هذا التسيب وتلك الفوضى.. بل إننا لنحسب أن هذا التعدد قد جعل الحياة الثقافية عموما تعيش في مفازات من الضياع ومتاهات من التخبط. وتتطلع إلى من يأخذ بناصيتها، فيعمل على تنظيم مسيرتها وضبط قواعد تشجيعها وتطويرها.. ذلك أن الجهود ـ الآن ـ مشتتة إن لم تكن ضائعة، نتيجة لهذه الإزدواجيات التي ليس لها مايبررها. ولو كانت هناك جهة واحدة مختصة برعاية هذا الجانب من حياتنا لأمكن لها أداء التبعة المناطة بها بصورة أجدى وأفضل وأكثر فاعلية مما هو واقع.

ولقد حان الوقت لإيجاد هذه الجهة وباتت الضرورة ملحة لإنشاء وزارة للثقافة تجمع اشتات الاختصاصات المتناثرة بين تلك الجهات، فترعى بهذا كل مايتصل بشئون العلوم والآداب والفنون في بلادنا رعاية كاملة وشاملة وتُعنى بحماية الفكر من تدنيس العابثين وتطفلات الأدعياء، وبالتالي حماية النمو العقلي والذهني للإنسان السعودي من التلوث، والخروج من أزمة المعرفة والثقافة التي نعيشها.

ولا شك أن لدى الجهات المسؤولة حاليًا عن بعض جوانب الثقافة من المهام الرئيسية الأخرى مايشغلها عن رعاية المسؤوليات الثقافية الموكولة إليها . . وهذا ما يؤكد الضرورة إلى إنشاء مثل هذه الوزارة .

الرياض / العدد ٥٢١٧ في ١٤٠٢/١١/١٧هـ.

لنضع حدا لاهتمامنا بالشعر الشعبي..!

لست خصما للشعر الشعبي - وإن كان في التسمية نظر - بل لعلي من أوائل من كتب عن هذا الشعر دارسا ومحللا وناقدا. وذلك عبر سلسلة مقالات نشرتها لي جريدة اليمامة منذ عهد بعيد.

ولكنني ضد الإسراف في الحديث عن هذا الشعر، وضد التمادي والتوسع في نشره بل أرى أن روايته في الصدور أمتع، ولكم يحز في النفس أن يحظى هذا الضرب من الشعر - في بعض صحفنا - بما لا يحظى به أدبنا الأصيل الفصيح.

وبمعنى آخر، فإن الواجب علينا - عند الحديث عن هذا الشعر - أن نتحدث عنه بقدر، وضمن حدود معينة، بحيث لا يكون هذا الحديث على حساب الأدب الأصيل الذي هو تراث هذه الأمة العظيمة، وجامع شمل الفكر العربي من محيطه إلى خليجه وبحيث يقتصر الحديث على نتاج المبرزين من أعلام ذلك الشعر. أمثال الخلاوي وبركات الشريف وحميدان الشويعر وابن لعبون وابن ربيعة وابن سبيل والهزاني والعوني؛ فإن شعر هؤلاء وأضرابهم يكاد يمثل مصدرا أوحد وفريدا في تاريخ الحياة الاجتماعية والإنسانية والفكرية السائدة في أزمانهم حيث تدهورت حال الأدب الأصيل وشاعت الأمية في قلب الجزيرة العربية.. فضلا عن كونه يحفل بالكثير من المعاني الرجولية والأخلاق النبيلة وسمات الشهامة والشمم، كما يفيض بصدق العواطف، ونقاء السرائر، وصفاء الطبع، وندرة المبالغة، وتمثيل الواقع والطبيعة.. على نحو مادرج عليه شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وعهد الأمويين.. وتلك بحق أمور تستوجب منا التقدير له. والاحتفاء به، والدراسة المتعمقة لمضامينه ومراميه.. أما أن يفلت الزمام، وندع الحبل على غارب الحمار لكل من شاء، ليتحدث عمن شاء، أو ليهذي بما

شاء من غثيث القـول وهزيله؛ فذلك ما يأمرنا واجبنا الديني والقومي برفضه ومقاومته دون هوادة.

وإن أشد ما يخشاه غيور على أمته ولغته، أن يكون هذا الانفلات جزءا من الأزمة المؤلمة التي يعيشها العرب والمسلمون اليوم، والتي تحاك لهما وفق مخططات خفية ورهيبة.. تهدف إلى تمزيق الصفوف وفك عرى الترابط ليتسنى ـ من بعد ـ لأصحاب هذا المخطط، السيطرة على هذا الكيان المتكامل العظيم بعد تفتيت التلاحم الروحي القائم بين أعضائه.

ذلك أن اللغة العربية هي وعاء الدين. ومتى تحطم هذا الوعاء، وإنهارت هذه الآصرة المتينة ـ لا قدر الله ـ سهل على الأعداء هدم ذلكم الكيان لبنة لبنة. وفي تصورهم ـ ولعل معهم وجهة من نظر ـ أنه متى هانت لغة على ذويها في عقر دارهم، أصبحت مدعاة للإحتقار والنبذ خارج تلك الدار.

لقـد حوربنـا، من قبل أصحاب تلك المخططات، عندما جرى طمس الحـروف العربية من لغات كثير من الشعوب الإسلامية مثل تركية وإندونيسيا ونيجيرية، فحال هذا العمل بين هذه الشعوب وقراءة القرآن، وفصم رابطة متينة بين العرب والشعوب الأخرى المنضوية تحت راية القرآن.

وفي بلدان عربية، تحاول بعض المعـاول الحـاقـدة إستبـدال العـامية بالفصحى.. بل لقد كتبوا بعض مؤلفاتهم ذات الألفاظ العربية العامية بحروف غير عربية.

وفي بعض بلدان عربية أيضا.. أعتبرت اللهجة المحلية هي اللغة الرسمية للبلاد، وكتبت بحروف غير عربية.

من هنـا وجب علينـا أن نكون واعين حذرين، فلا نتيح لأعدائنا فرصة

الاستفادة من أي عمل شاذ من شأنه النيل من لغتنا ومن أدبنا الأصيل.

على أني أحسب أن الذين يبالغون في أحاديثهم عن الأدب العامي، إنما هم يصدرون في ذلك عن حسن نية.. بيد أن المؤمن غر كريم ـ كما ورد في الأثر الكريم ـ وأخشى ألا نُؤتى من هذا المكمن، فإن أعداءنا بنا متربصون، وإنهم لشرسون وجشعون.

ومن ناحية ثانية: ماذا ستكون عليه الحال بعد خمسين أو مائة سنة ـ مثلا ـ لو أننا استمرأنا هذه السبيل، واستمرأها إخواننا العرب في كل قطر، فبات كل شعب يسير في فلك تشجيع آدابه العامية؟.

لا شك أنها الكارثة. ولسوف يكون في كل بلد عربي لغة خاصة به تحل محل اللغة الفصحى.. تماما كما حدث للغة اللاتينية التي تحولت إلى عدد من اللغات.

وإنه ليس لائقاً بنا ـ ونحن في مثبت الفصحى، وحفدة أساطين الضاد ـ أن نقبل بهذا التسيب الحاصل في نشر الأشعار النبطية ـ أو الشعبية ـ وإن المسؤولين عن تحرير صحفنا، والمخولين بإجازة طباعة الكتب، والقائمين على بعض البرامج الإعلامية، مدعوون للنهوض بواجبهم القومي تجاه هذا الأمر الذي بات يستلفت النظر حقا، فلا يتركون الباب مفتوحا على مصراعيه لكل من هب ودب لنشر مايريد نشره فلابد من المراجعة والتمحيص وطرد النفايات.. وذلك بالحد من النشر إلى أضيق حد ممكن.

وكما قلت ـ آنفاً ـ فإن المكان الأمتع والأجمل لهذا اللون من الشعر إنما هو في صدور الرواة وليس صفحات الجرائد والكتب!.

المجلة العربية/ العدد ٩٦ محرم ١٤٠٦هـ.

هوان العربية على أهلها

ما من لغة عريقة هانت على أهلها مثلما هانت اللغة العربية، فهي تعاني من عنت شديد بل من محاربة غشوم، في عقر دارها وبفعل أبنائها.

ولولا أن هذه اللغة حصينة بذاتها ـ والحمد لله ـ لكتب لها الفناء منذ أمد مثلما حدث لكثير من اللغات المندثرة كالسريانية والهيروغليفية واللاتينية.

ويخيل إليَّ، وأنا أتأمل حال اللغة العربية اليوم وصراعها مع اللهجات الشرسة، أن هناك مؤامرة منظمة تحاك وفق تخطيط رهيب لتعرية هذه اللغة وجعلها غير مرغوب فيها من لدن ذويها، بل لجعلها دينية فحسب.. مثلما هو الحال مع بعض اللغات القديمة التي لم يعد لها ذكر إلا في الكنائس والأديرة.

اللغة العربية ـ كما نعلم ـ هي اللغة الرسمية للأقطار العربية، كما تنص على ذلك نظمها الأساسية، ولكنها مع ذلك تتلقى الصفعات تلو الصفعات في هذه الأقطار، فلغة الدواوين الحكومية تكتب بأساليب رديئة ومحزنة، فضلا عن شيوع اللحن والأخطاء الإملائية، ويزيد النفس ألماً أن هذه الممارسات والأساليب الخاطئة تصدر من أناس نالوا حظا من الثقافة، بل ربما كان الكثيرون منهم يحملون أعلى الشهادات.

والأدب العامي يحظى باهتمام وبتقدير بعض الجامعات والمؤسسات العلمية، وتقام له المهرجانات.

والصحافة، ووسائل الإعلام الأخرى، تفتح صدورها لغثيث القول وهزيله من كلام العوام ومحدودي الثقافة، فتخصص الصفحات والبرامج لذلك.. كما تحفل بالهذيان المسعور الذي لا يدرك له معنى ولا يفهم منه هدف، وتسميه شعراً حديثا.

وتقام ندوة عامة ـ مثلا ـ يشارك فيها عدد من الأدباء المرموقين أو من أساتذة الأدب العربي، حول إحدى القضايا الأدبية، فيدور الحوار والنقاش بلهجة أو بلغة هي أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى.

وفي إحدى حفلات تخريج الطلبة الجامعيين، تسمع من بعض الخطباء ـ طلبة ومسئولين ـ ما يؤذي أذنيك من فجاجة الأسلوب وكثرة الأخطاء اللغوية والنحوية.. وكأن الجميع ليسوا تحت سقف مؤسسة من أكثر المؤسسات العلمية في البلاد.. ألا وهي الجامعة التي من أهدافها حماية اللغة العربية وتخريج المتخصصين فيها.

وتسير في الشارع العربي، فيلفت نظرك بعض اللوحات اللافتة وقد كتبت بلغة أجنبية، وإذا ماكتبت العربية إلى جوارها فبحروف صغيرة وعلى إستحياء!.

أفيحق لنا ـ بعد هذا ـ أن نقول إن أزمة لغتنا هي جزء من الأزمة العارمة التي يعيشها واقعنا العربي.. وهو ـ بلا شك ـ أسوأ واقع مر بتاريخ الأمة العربية.

أقول هذا، وأنا أذكر ـ بالمقابل ـ حال اللغة العبرية التي كانت في حكم الجثة الهامدة منذ مايزيد عن ألفي عام.. ولكن اليهود ـ وقد أقاموا كيانا لهم بين ظهرانينا بفعل التآمر الدولي ضدنا ـ استطاعوا أن يعيدوا الحياة للغتهم بل لقد أصبحوا يخطبون بها في المحافل الدولية، ويدرسون بها الفلسفة والعلوم والهندسة والطب، ويكتبون بها البحوث الموغلة في التخصص، وجعلوا من اللغات الأجنبية، في هذه المجالات، لغات ثانوية.

فياليتنا نعي واقعنا وواقع لغتنا اليوم.. ونعي ماوراء ذلك!!.

الجزيرة/ العدد ٤٧٨٣ في ١٤٠٦/٢/١٩هـ.

مجلة العرب

في بلاد أخرى، لا يمكن أن تصدر مجلة متخصصة ذات سمة معينة ـ كمجلة العرب لدينا مثلا ـ بجهد فرد واحد. . بل يتبنى هذا العمل جهة علمية أكاديمية تعنى بالمجلة والموضوعات التي تتناولها.

أما هنا، فإن أستاذنا الشيخ حمد الجاسر قد تولى أمور مجلة «العرب» على مدى عشرين عاما، وليس لديه من الإمكانيات سوى همة تناطح الصخر وشغف بالبحث في قضايا التراث لا يعرف الكلل.

ولا يعرف قدر مجلة العرب ولا قدر ما تتطرق له من أبحاث ودراسات إلا المعنيون الذين أفنوا شطرا من العمر في دراسة التراث، أدبا وتاريخا ولغة وأنسابا. . وأفنوه بين رفوف مكتبات العالم تنقيبا وبحثا، وأفنوه في تحقيق المخطوطات المتآكلة، والمنزوية على نفسها قرونا طوالا، فبعثوا بأعمالهم وبجهودهم ماضيا فكريا ظل قيد النسيان أو الاهمال على مدار تلك القرون.

ولقد ظلت «العرب» شمعة أثرية ـ إن جاز التعبير ـ تضيء المهيع لرواد البحث وتمهد الجادة للدارسين الجادين. . وظل أرباب الاختصاص والمغرمون بالأصالة يتلقفون «العرب» كما يتلقف الصادي الماء في مهمهٍ مقفر في حمارة القيظ.

ولئن شارك في كتابة مادة «العرب» عدد من الأعلام المبرزين؛ إلا أن جزءا كبيراً من مادتها كان بقلم صاحبها. . بل إن بعض أعدادها تكاد تكون برمتها من نتاج ذلك القلم وهذه معجزة أخرى.

وفوق كل هذا، فالشيخ حمد هو الذي يقرأ مواد المجلة سلفا، فيجري عليها قلمه تصحيحا وتقويما وتعديلا.. كما أنه هو الذي يقوم بمراجعة تجارب طباعتها.. وهو الذي يعاني من متاعب في عينيه منذ أكثر من ثلاثين عاما..

لاحت لي هذه الأمور بعد أن فهمت من الأستاذ حمد ـ قبل أربعة أشهر ـ عزمه على إيقاف المجلة عند إكمالها العشرين حولا..

وكان يتمنى لو تولى أمر المجلة أحد تلامذته.. ولكن ـ وهذه وجهة رأي مني ـ من ياترى سيتولى أمرها ويستطيع أن يسير بها في نفس المنهاج الذي اختطه لها صاحبها..؟!.

ولقد إنتابني ـ ساعتها ـ حالة أسف وأسى لعلمي بصعوبة تحقيق رغبة الشيخ، وهو الحفي بما وقف نفسه له..

على أني لا أزال يملؤني الفأل بأن يظل شيخنا الجليل ـ بما حباه الله من دراية ومن حيوية وتصميم دائبين ـ محتضنا عشيقته الأثيرة.. «العرب».. وإن كان الأمل يحدوني بأن ترعى إحدى الجهات المختصة لدينا هذه المجلة، فتتولى أمر الانفاق عليها وتترك لأستاذنا الجليل حرية تحريرها بالشكل الذي يحقق الهدف من إنشائها.

هذا، وإذا كان لابد من كلمة تقال أخيراً، فهي أن «العرب» لم تكن مصدر رزق لصاحبها بقدر ماكانت هدفا سامياً يعتمل في نفسه، حقق بواسطته خدمة تراث هذه البلاد بخاصة وخدمة التراث العربي الإسلامي بعامة.

الجزيرة/ العدد ٤٨٠٤ في ١٤٠٦/٣/١١هـ.

الشـــــعر

وسأل سائل: هل إنقرض عهد الشعر؟.

والجواب: نعم، و.. لا.

نعم، لأن المطروح منه، في ساحة العرض، وفي زمن مثخن بجراحات الخواء والزيف والمادة، هو في أغلبه هزيل، تأباه الأذواق الصافية، وتنفر منه السلائق النقية.

و.. لا، لأن الشعر ـ وهو قيثارة الأبد ـ سيظل يحكي صفاء الوجدان والعاطفة، وينم عن صدق الحس والتجربة، على لسان الزمن.

لا يلام قائل بأن دولة القريض قد إنتهت، فمعظم الذي تتداوله وسائل النشر منه نماذج متدنية.. من هفوات الفكر وكبواته.. والفكر يعتوره ما يعتور أمور الحياة الأخرى من تردٍ وتخلف ـ بين آونة وأخرى ـ ولكنه يعود إلى وعيه، فيستأنف مسيرة الإبداع. وإذا جاز لنا التشبيه، فإنه كالجواد الأصيل النبيل.. يكبو ثم لا يلبث أن ينهض متحديا الهزيمة أو الكبوة في شموخ.

والذين يتساءلون عن أهمية دور الشعر في زماننا هذا معهم الحق في تساؤلهم.. فهم قد فتحوا أسماعهم على صنوف من الغثاثة المتشاعرة ليست بذات أثر في مسيرة الحياة، ولو إمتد بهم الأفق الثقافي إلى كنه الشعر وحقيقته، وإلى الجيد من أساليبه وأنماطه، وإلى تصور المدى الذي وصل إليه الشعر العربي، مثلا، في تكييف الحياة السياسية والاجتماعية والحربية والنفسية، في عصور مجده، لأدركوا أهميته وخطورته.

ذلـك أن الشعـراء، كما يقـول ناقـد كبير، كانوا يقودون قومهم بقولهم، وينضحون عنهم يوم حفلهم، ويخلدون مآثرهم على الدهور، وينقشون مفاخرهم في الصدور.

أجل.. «أنتم الناس أيها الشعراء»!.

الجزيرة/ العدد ٤٨١٨ في ١٤٠٦/٣/٢٥هـ.

تقويم المؤلفات قبل نشرها

وقعت في يدي مجموعة من المؤلفات الحديثة التي أخرجتها بعض دور الطبع والنشر والأندية الأدبية. وبجولة سريعة فيها أصبت بخيبة أمل تجاهها. ذلك أن ما وجدته وقرأته في بعضها هو من الأمور التي تبعث على الأسى والشفقة. فالأسلوب تسوده الركاكة ويعوزه الترابط المؤدي إلى إدراك الغرض كما أنه يتجاهل المقاييس والضوابط اللغوية ولا يقيم لها أي اعتبار.

والأفكار مضطربة.. وإن لم تكن كذلك فهي ضحلة. أما الموضوعات فهي ـ على مايبدو ـ ليست بذات بال في نظر صاحبها. ومن هنا فعنصر الموضوعية الجيدة تخلو منه الأضمومة أو الكتاب.

وهكذا يخرج بعض هذه المؤلفات على غير حساب. والأكثر أسى وغرابة أن تجد هي وأصحابها من يطبل ويزمر لها من أشباه النقاد.. !.

ولا شك أن في هذا إساءة لسمعة الثقافة والمثقفين في هذه البلاد، وإعطاء انطباع سلبي لدى غيرنا عن مسار الحركة الفكرية والأدبية لدينا.

ولست أجد باعثا على طغيان ذلك النوع من التأليف سوى محاولة البروز وحب الظهور من قبل أصحاب تلك المؤلفات، ثم الكسب المادي الذي يتوزعه أكثر من طرف.

هذا، ومن المعروف أنه لا يتم طبع الكتاب إلا بموجب ترخيص. غير أنه يظهر أن الذين يراجعون المؤلفات من أجل إجازة نشرها لا يعنيهم من الأمر إلا شيء واحد محدد.أما ما عداه فليس بذي أهمية في نظرهم أو أنه ليس من المهام المناطة بهم.

وأرى أنه لابد من تقويم أي مؤلف يراد نشره تقويما علميًّا وموضوعيًّا من قبل جهة أو لجنة ذات اختصاص.

على أني لا أدري لمن أوجه هذا الرأي أو الاقتراح، فالثقافة في بلادنا يتنازع الاختصاص بها جهات عديدة!.

الجزيرة/ العدد ٤٩٤٤ في ١٤٠٦/٨/٣هـ.

نـــدوات الأدب

اعتـاد الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي، ومنذ سنوات، على إحياء سهرة أدبية أسبـوعية، حافلة بالفائدة والمتعة، وبالجدة والطرافة، حيث يفتح صدره وداره لرجال الفكر والأدب يتناقشون ـ في هدوء وموضوعية ـ في شتى شؤون الأدب وشجونه، فتشعر وأنت في ذلك الوسط بأن كل دقيقة تمر تعني حصيلة ثقافية وفيرة.

ونـدوات الأدبـاء ـ أو مجالسهم ـ هي بمثابة منتجعات فكرية يلتقي على ساحتها مشاهير المفكرين ومريدوهم، ويحرص على إرتيادها الرواد والشداة على حد سواء.

ولئن عرف تاريخ النهضـة الأوربية مجالس «فكتـور هيجـو» و «جيتـه» و «دافنشى» وسواهم من مفكري تلك النهضة، فإن تاريخنا الأدبي كان سباقا إلى مثل تلك اللقاءات، وكان حفيا بالأسواق والمنتديات التي أثرت ذلك التاريخ إثـراء جما. . كما أن عصر الانبعـاث الحديث ـ هو الآخر ـ قد حفل بندوات الأدباء. . نذكر من ذلك على سبيل المثال، ندوة أمير الشعراء أحمد شوقي في دارته «كرمة ابن هانيء» و «صالون» الأديبة مي زيادة و «ندوة الجمعة» للأستاذ العقاد.

وعلى الرغم من أنها ندوات «مخصوصة» تتم عادة في دار الأديب، بعيدة عن «الرسميات» خالية من التكلف ومن الإعداد المسبق لها، إلا أن أثرها ظل بعيدا؛ فكان يبدو جليا في الحياة الفكرية والاجتماعية بعامة وفي المسيرة الأدبية بخاصة، وكانت تستقطب النخبة من الأدباء والمتأدبين.

وهنـا. . أتمنى على أنـديتنـا الأدبية لو لم تقصر نشـاطها على إلقاء بعض المحاضرات ونشر بعض المؤلفات. . وأتمنى عليها لو أنها خصصت ـ إلى جانب ذلك ـ ليلة أو أكثر في الأسبوع لتكون بمثابة «صالون» أدبي مفتوح يجتمع فيه من

شاء من الأدباء ويتناقشون من خلاله نقاشاً أدبياً محضاً وعفوياً وحسبما يعن لهم ساعتها من موضوعات حرية بالمداولة، فأدب المجالس أدخل إلى النفوس وأمتع، وهو وشيجة أدبية مثلى.

إنها بهذا تقيم مآدب شهية تعود على الفكر والأدب في بلادنا بأجل الفوائد وأسماها.

الجزيرة / العدد ٤٩٨٦ في ١٤٠٦/٩/١٦هـ.

القديم والجديد

التجديد والابداع، ولا سيما في مجالات الآداب والفنون، منحى تقتضيه طبيعة هذه المجالات.

ومسيرة الأدب العربي تشهد بهذا.. غير أن الجديد لم يقم يوما على أنقاض القديم، وإنما جاء مطورا له مع الحفاظ على الخصائص الأساسية التي تضمن للقديم والجديد التلاحم والانطلاق نحو حياة فكرية يسعد بها الجميع.

نحن نرحب بالتجديد والإبداع متى كانا متمشيين وسنة النشوء والارتقاء وقد فتح أدبنا صدره مرارا لهذا.. لكننا نأبى اعتساف التجديد، أو بعبارة أخرى نأبى تفريغ أدبنا من الأصالة والجودة وجعله خواء من الروح. ويجب ألا يتصور عابث أو مدع للتجديد بأن الأمر كما تتوهمه مخيلته.

ونحسب أن أي محاولة للعبث بمفهوم التجديد مصيرها الفشل، فالبقاء دائما لما يتفق والذوق العربي، ولقد مر بتاريخ الفكر لدينا بعض الدعوات التي ما عتّمت أن لفظت أنفاسها وهي في مهدها.

وإذا كان مصير أي دعوة نشاز في الأدب إلى الفشل، فإن مما يعجل بهذا المصير إهمال شأنها وتجاهلها وتركها تنطوي على نفسها، ذلك أننا بملاحقتها نعطيها حجما قد لا تستحقه، وهي بطبيعة الحال، مرفوضة تلقائيًّا من قبل القاريء صاحب الشأن الأول.. والذي لن يجد في ذلك الكلام الذي ينشر بدعوى التجديد أي معنى يفهمه أو يهضمه.

على أن مما يلفت النظر في كثير من صور الجدل القائمة حول ذلك على صفحات جرائدنا، افتقارها إلى العقلانية وإلى الثقافة العميقة وإتسامها بالعزلة

الفكرية بين الفريقين المتصارعين. . ولعل مرد هذا أن كثيراً من ذوي الأقلام الجيدة ظلوا في منأى عن هذه الخصومة.

الجزيرة / العدد ٤٨١١ في ١٨/١١/١٤٠٦هـ.

لقـــاء

بعد غياب طويل: عمران العمران يخرج من صمته ويقول:

لابد من توفير المناخ الفكري المناسب للكاتب والشاعر حتى يقول رأيه بصدق وأمانة!

حـــوار: ســـلمان العمـــري:

**** الأستاذ الشاعر الناشر عمران بن محمد العمران أسهم مع نخبة من جيله في إثراء حياتنا الأدبية بالرأي والموقف والخصومة الجادة. تعتريه فترات طويلة من الصمت، حتى نخاله هاجر أو ودع.. ولكن حين نجسه نمس فيه كوامنه، ونلمس منه هذا التأجج والتدفق في موقفه من الأشياء وليس الصمت عارا في سيرة الكاتب إذا كان يصدر من موقف فكري ملتزم، يبتعد به عن الإسفاف، ويرتفع به عن الغوغائية والسقوط، وعن بيع الكلمة في سوق النخاسين، بل أن الصمت هنا سلوك مشرق، وكلام أبلغ من تواتر الكلام نفسه. و «عمران» هنا لم يقل كل شيء ولكنه قال شيئا جادا عن أشياء كثيرة.. لعل أبرزها إعراضه عن المجاملة الفكرية والنقدية السائدتين وإنصرافه إلى ذاته عن كدر الكلمة.**

*** ما أسباب غيابكم الطويل عن الساحة الثقافية من خلال النشر عبر وسائل الإعلام أو المشاركة في المنتديات الثقافية؟.**

- لئن توقف القلم فترة من الزمن عن المشاركة بالكتابة والرأي، فإن ذلك لا يعني أبداً الغياب عن الساحة الثقافية - فالقراءة مازالت - والحمد لله - هاجساً يوميًّا يستحوذ على جزء مناسب من وقتي، فمكتبتي المنزلية - وهي تحوي قدراً طيباً من فنون المعرفة - تظل المكان الذي آنس به والذي أجد فيه الكثير من المتعة والفائدة كما أنني على صلة وثيقة بما يثار على الساحة الثقافية من فكر وأدب ومن جدل ونقاش.. مما تقدمه الصحف والمجلات العربية.

أول دراسة منهجية عن الشاعر الاحسائي

* **تعد دراستك «المختصرة» عن الشاعر الاحسائي علي بن مقرب العيوني رائدة في دراسة الشاعر لكونها من أولويات الدراسات التي عنيت به. ولكن الدكتور الخضيري تخصص في درسه أكاديميا «الدكتوراة» فهل إستفاد منك الدكتور؟ وأشار إلى ذلك؟ وهل هناك وجهة نظر تجاه ذلك العمل؟.**

- إن دراستي عن ابن مقرب ليست مختصرة، فقد استوفت كافة الجوانب المتصلة بحياة هذا الشاعر وبشعره، وهي تقع في نحو مائتي صفحة، وقد صدر كتابي «ابن مقرب ـ حياته وشعره» قبل أكثر من ثلاثة وعشرين عاما، وهو أول دراسة منهجية عن هذا الشاعر المغمور والذي كان نجما شعريا لامعا في سماء عصر من عصور الأدب المعتمة.

أما عن إستفادة غيري من دراستي هذه فيمكن للناقد المتفحص المتتبع المتجرد أن يقول رأيه بشأنها، وأما أن المستفيد من هذه الدراسة أشار أو لم يشر إلى ذلك فهو أمر يُسأل عنه هذا المستفيد.. وعلى أية حال فإنني أشعر بالغبطة عندما يستفيد من دراستي أي باحث أو دارس بل إنه يسعدني أن أجد آرائي وإستنتاجاتي قد أخذ بها غيري.

حرق الشعر أكثر من نشره

* **يقال إنك تكتب القصيدة وتحفظها لأسباب خاصة.. فلماذا لا تنشر وتفصح عن الأسباب؟.**

- مع أن هذا الظن غير صحيح في إجماله، إلا أن الكاتب أو الشاعر ليس ملزما بالضرورة أن ينشر ما يقوله لأن مايقوله إنما هو صدى تلقائي لما يعتلج في ذاته، يشعر بعد إفرازه بأنه قد تخلص من عبء يثقله ولا يهمه بعد ذلك أن ينشره أو يطويه.. ومن هذا القبيل مايشاع عن شاعر كبير من شعرائنا بأنه حفي بحرق شعره أكثر من اهتمامه بنشره.

جيلي والغث والسمين!

* **كيف ترى الجيل الأدبي الذي نشأت معه في السبعينات والثمانينات.. وهل إنحصر نشاط هذا الجيل أم بقي منه أسماء لازالت فاعلة في الساحة؟.**

- كان جيلا يحمل في طيات روحه الغث والسمين، شأنه شأن أي جيل آخر إلا أنه كان طموحا متحمسا ميالا إلى الجد صادقا في توجهاته.. وقد إصطدم بكثير مما أصاب الأمة العربية من كوارث ونكبات فأصيب بشيء من المرارة والانقباض وإذا انحسر نشاط بعض هذا الجيل فإن منه من لايزال يثري الحياة الفكرية بمزيد من العطاء والنتاج وبقدر كبير من الجودة والوعي والعمق.

الحداثة مبدأ مرفوض..!

* **كيف تقيم تيار الحداثة الشعرية لدينا؟.**

- الحداثة في ذاتها أمر مرغوب في كل زمن لأن الأفكار لابد لها أن تتجدد تبعا لمستجدات الحياة ومتطلباتها.. ولكن يجب ألا يكون ذلك على حساب الأسس والمقاييس التي عاشت بها لغتنا ولا على حساب الذوق العربي الأصيل والاعتبارات الحضارية لأمتنا والجذور المنغرسة في تربة عطائنا الروحي والفكري، وإلا أصبحت الحداثة مبدأ مرفوضا من أساسه.

وحين برز في العصر العباسي البحتري والعباس بن الأحنف وعلي بن الجهم وبشار بن برد وأبي العتاهية ومروان بن أبي حفصة ومسلم بن الوليد وسواهم ممن كانوا يسمون بالمولدين - أي الحداثين بلغة العصر - حين برز هؤلاء أذاعوا في الأدب العربي المذاهب الجديدة والمعاني المبتكرة والعبقريات المأثورة والصور الرقيقة والأخيلة البديعة. ولكنهم لم ينبذوا مقاييس اللغة ولا معايير العروض والقوافي ولم يهونوا من شأن التراث، وبهذا استحقوا فعلا أن يكونوا مبدعين وأن يمسكوا بزمام الشعر والأدب وأن يكونوا أرباب الحداثة في زمانهم.

على أن هناك ـ والحق يقال ـ ضربا من النتاج الفكري الحداثي يشذ عن هذا المنحى العام، تقرؤه فتجد نفسك أمام لوحات رائعة من الفكر والأسلوب ومن الفن والإبداع، غير أن أصحابه يسلكونه في باب الشعر، وهو في نظرنا من النثر، بل من النثر الجيد، لأن للشعر مقاييسه الموسيقية وحركاته الصوتية التي لا ضرورة لتخطيها. . بل إن هذه الحركات والمقاييس تعطى الشعر عمقا بعيداً.ولا يعني ذلك تجاهل روح الشعر المنبثقة من أعماق النفس والمتمثلة في الشعور والابداع والصور المؤثرة لأن تجاهل هذه الروح يحيل الشعر إلى نظم وهو ما لا نقصده هنا.

أعود فأقول إن مثل ذلك النتاج الأدبي النثري الحداثي يحتل بلا شك درجة عالية من الفكر ومن تاريخ أدبنا الحديث.

هـؤلاء هـم الحداثيون

* **هل لكم صلة بهذه الألوان الجديدة من الشعر الحديث في العالم العربي؟.**

- إذا أخذنا بالمفهوم الحقيقي للحداثة، فإننا نعتبر علي محمود طه وعمر أبوريشة وأحمد الشامي وسليمان العيسى والجواهري وحسين بن سرحان ومحمد حسن فقي وإيليا أبو ماضى وشعراء المهجر وشعراء مدرسة أبولو وسواهم ممن يقرضون الشعر على نغمة الشعر العربي الأصيل وموازينه ومعاييره ـ نعتبر هؤلاء حداثين بل هم الحداثيون حقا، لأنهم جددوا في أساليب الشعر وابتكروا في صوره ونوعوا في أغراضه وأبدعوا في معانيه وذلك إلى جانب مراعاتهم لخصائص السليقة العربية وموسيقى الشعر العربي وهي خصائص قد امتزجت بالنفس العربية وأصبحت جزءاً من كيانها. وإنك لتحس بجاذبية طبيعية تشدك إلى هذا اللون الحداثي شداً وبمتعة ذهنية تنساب في ذاتك وهنا يكمن سر الأدب أي أدب. .

وطبيعي أن يبقى الأديب على صلة بمثل هذه الألوان الشعرية التي يبدعها أمثال هؤلاء . . ! .

تحريـك الحيــاة الأدبيـة

* **ملحقات الأدب أو صحافة الأدب هل أغنت الساحة بأطروحاتها لقضاياها ونقداتها؟ .**

- أما أنها أغنت الساحة فهذا موضع نظر . . ولكنها قد ساهمت في تحريك الحياة الأدبية وإنمائها والأمر يختلف من صحيفة لأخرى ومن محرر لآخر . . والجود من الموجود كما يقولون . . ! .

تشجيع ترجمة النصوص والأعمال

* **كيف يمكننا الخروج إلى وضع ثقافي وأدبي سواء في المملكة أو في سواها من وطننا العربي؟ .**

- يكون ذلك بهضم تراثنا الفكري والأدبي هضما صحيحا وسليما، وبإستقراء آداب الأمم الأخرى . ويأتي هذا ـ في الدرجة الأولى ـ بتشجيع ترجمة النصوص والأعمال الخصبة والراقية من هذه الآداب إلى لغتنا ترجمات جيدة ومتقنة، كما يمكن الخـروج أيضاً إلى وضع ثقافي وأدبي متميز بالبحث الجاد الصادق في وجدان أمتنا العربية وتحسس روحها والاندماج الملائم في البيئة وتلمس طابعها وإبراز مميزات هذا الطابع، وكذلك بوصف الخوالج والعواطف التي تعتلج في النفس البشرية عامـة والتي يمكن أن يستـوعبها ويعايشها كل من توفر على مطالعتها متمثلة في النتاج الأدبي بعد ذلك .

وأخيراً لابد في هذا الصدد من توفير المناخ الفكري المناسب للكاتب والشاعر ليقولا ماعندهما بصدق وأمانة ! .

ومتي تهيأت هذه الأسباب سيصبح للعالم العربي وضعه الثقافي والأدبي المتميز المتكامل، وسيفرض أدبنا عندئذ نفسه على الأمم الأخرى ويكون بحق صالحاً للتصدير تماما كما حدث لهذا الأدب في حقب سالفة من تاريخه.

الجمع بين الشعر والنقد

* **هل تؤمن بالجمع بين الشاعر والناقد في شخص واحد؟.**

- الجمع بين الشاعر والناقد في شخص واحد ليس مستحيلا.. ولا غريبا على أدبنا العربي، قديمه وطريفه، بل لقد حفل هذا الأدب بكثير من الأعلام والمبرزين في أكثر من فن من فنون الأدب والمعرفة في آن واحد.. بيد أن الجمع بين بعضهما قد لا يمنح الأديب الجودة المتوخاة.ولذا فإن الجمع بين الشعر والنقد ـ مثلا ـ قد يضعف من قدرته في أحدهما أو فيهما معا.

السطحية والهلامية في الأدب

* **أكد بعض المفكرين والمثقفين بأنهم سيؤلفون ويكتبون باللغة الأجنبية لا باللغة العربية لأنه في الأولى يجد جزاءاً نفسيًا وماديًا أوفى وبخاصة لجهة الأبحاث والدراسات التي تعرض لأعماله.. فما رأيك بذلك؟.**

- مما يحز في النفس ويبعث على الأسى أن التأليف الجاد الملتزم في العالم العربي لا يحظى بالتقويم الدقيق ولا بالتقدير الكامل، بل إنه قد لا يجد القارىء الكفء.. ولعل هذا مايدفع بعض المثقفين إلى سلوك المنحى الذي تشير إليه.. لكن هذا الواقع ـ على مرارته ـ لا يجب أن يصرف الكاتب أو المؤلف إلى هجران لغته، فإن من مهام أي مفكر أن يثري أدبه ولغته وإلا كانت النتيجة أننا نقبر هذه اللغة وهي حية ونترك أدبنا يعيش على السطحية والهلامية، والكاتب بعمله هذا إنما يمارس أنانية فكرية وينأى عن مسؤولياته

الوطنية والقومية، وكان الأحرى به أن يرقى بالفكر في وطنه وبين قومه. . على أنني أخشى أن يكون من يفكر على النحو الذي تشير إليه هو ممن يعيش معاناة من مركب نقص حاد يحدوه إلى ذلك مثلا. .

الحركة النقدية والضعف!!

* **هنـاك إتهامات توجه عادة إلى الحركة النقدية باعتبارها ضعيفة ولا تواكب مسيرة الإبداع ماذا تقول في هذه القضية؟.**

- الحركة النقدية جزء من الحركة الأدبية. . ومتى ماصحت الأذواق وأخصبت الأذهان وصفت القرائح وجزل العطاء الأدبي وإزدهرت مواسم الحياة الفكرية الحقة، فإن النقد - هو الآخر - ينهض تلقائيا ويأخذ مساره الصحيح في تقويم الأداء الأدبي تقويما قويا وصادقا. . !

لا تعرف الرأس من الذنب. . !

* **ماهي برأيكم أشكـال الهـدم التي استهـدفت الأدب العـربي. . وبالذات الشعر. . لأن تراث العرب القديم في شعرهم. . ؟.**

- حقـا. . إن تراث العـرب في شعـرهم، فالشعر ديوان العرب كما يقول أبو فراس. وأشكال الهدم التي استهدفت أدبنا عديدة لكن أبرزها ذلك الهذيان المحموم من الكلام الذي لا تعرف له رأسا من ذنب ويطلقون عليه شعرا. تقرأ هذا الكلام فيقف فهمك دونه عاجزا، والكلام إذا لم يفهمه أحد خرج عن الأدب والعقل! . . أليست هذه كارثة؟!.

ولعل بعض من يتعاطى هذا الكلام يقوله وهو غير واع ماوراءه من استهانة

بالشعـر العـربي وبتراث الأمة وماضيها الأغر. . ومثل هؤلاء معذورون إلى حد. . وسيأتي يوم يفيقـون فيه من غفلتهم على الحقيقة كما حدث لآخرين فندموا وتابوا.

البقاء دائما للأصلح . . !

* **ظهـور الشعر الحر هل استطاع أن يحقق مهمته بمعالجة الواقع وأن يثبت وجوده بمرونة الشعر القديم وقوته؟ .**

- لا أظنه استطاع أن يحقق مهمته بمعالجة الواقع وذلك لغموضه ولغربته عن طبيعة الحياة العربية بل عن طبيعة الأشياء. . وإنما هو قد أسهم إسهاما شرسا في محاربة الشعر العربي. ولكنه مع هذا لم يفلح في حربه لأن البقاء للأصلح دائما. . !.

تسخير أدوات الشعر. !

* **هل لجوء الكتاب للشعر الحر قصور في أدوات الشعر أم ماذا؟**

- حسناً. . لقد وصفت أصحاب مايسمى بالشعر الحر بالكُتاب، فهم ليسوا بشعـراء. . وإن بعض المقـطّعات التي يُطلق عليها شعرا إنما هي من قبيل النثر. . وقد تكون قطعا نثرية جيدة ومن عيون الأدب الحي.

ولجـوء بعض الكتـاب إلى اعتبار هذا النثر شعرا قد يكون نتيجة ضعف في القدرة على تسخير أدوات الشعر الموسيقية والصوتية التي قننها الذوق العربي والتي لم تكن يومـا عائقـا للابداع ولبث الأحاسيس والمشاعر على نحو مؤثر فعال. . وقد يكون الأمر لأسباب أخرى يدركها أو لا يدركها هؤلاء.

الفرق بين الشعر الحر والعمودي . . !

* **ماالفرق بين الشعر الحر والشعر العمودي باعتبارهما أحد أركان الأدب؟**

- يكمن الفرق في القصور أو القدرة على إبداع نص متماسك منضبط ينسجم مع خصائص النفس العربية ويلبي احتياجات الحياة في مختلف الأغراض . . وذلك كله في إطار الأنماط الصوتية الغنائية الجمالية التي أكسبت شعرنا العربي سماته الخاصة ومنحته شخصيته المتميزة على مدى ألفي سنة .

الأمـــر متروك لحينـــه . . !

* **بعد ديوانك «الأمل الظاميء» وكتابك «من أعلام الشعر اليمامي» ماذا تنوي اخراجه للساحة الأدبية . . ؟ وهل صحيح أنه سيكون مفاجأة كما يقال بعد البعد الطويل؟ .**

- طالما أن المرء يهوى حرفة القلم ، فإن النية لديه تبقى قائمة لإخراج المزيد من نتاجه ، أما ماهو هذا الذي ينوي اخراجه؟ ومتى؟ فذلك متروك لحينه .
ولا أعتقد أن لديَّ شيئاً يستحق أن يكون مفاجأة! .

* **هناك الكثير من الكُتاب والشعراء الذين عالجوا شؤون المرأة في أعمالهم فهل للمرأة نصيب من شعرك؟ .**

- أكاد أشك في أن يكون هناك كتاب كثيرون عالجوا شئون المرأة . . وأحسب أن معالجة مثل هذه الشئون لا تكون عبر مقالة صحفية مثلا . . وعلى هذا الاعتبار لم يكن للمرأة نصيب فيما قدمته . . والقليلون الذين كتبوا في شئون المرأة كانوا ـ في أحيان كثيرة ـ يصطنعون النقاش اصطناعاً! .

والمرأة العربية المسلمة تعيش صورة من النزاع الداخلي ، بل صورة من المواءمة

بين موروثها الفطري القديم ومحصولها الفكري الحديث، وهنا تكمن شتى الايجابيات والسلبيات في حياة هذه المرأة اليوم. . والمطلوب من الكتاب والشعراء والمفكرين أن يولوا هذا الجانب نصيبه من البحث. أما تناول القشور دون اللب فضرب من الوهم والعبث وعدول عن الجواهر إلى العرض!

إدارة مدركة للمهرجانات. . !

* **هل تعتقد أن إقامة المهرجانات والمنتديات الأدبية العامة والخاصة لها دور في رفع مستوى الأدب السعودي لدينا؟.**

- نعم. . ولكن الأمر مرهون بحسن التنظيم والإعداد لها وبوجود إدارة مدركة لمهامها وبإنتقاء الموضوعات الصالحة للطرح والنقاش وبأن يكون القائمون على مباشرة ذلك من الأدباء والمفكرين المشهود لهم بعمق الثقافة وأصالة الفكرة وبعد الأفق وقدرة التصور للنتائج.

تشدني قصيدة أو بيت واحد. . !

* **مَنْ مِنْ الشعراء والنقاد السعوديين الذين يعجبونك؟.**

- قد لا يكون مناسبا ذكر أسماء معينة، فقد تصيبني سهام من لا يعجبني شعره! وقد قال أبوالطيب المتنبي: «وعداوة الشعراء بئس المقتنى» وكذلك الحال بالنسبة للنقاد. وعلى أية حال فقد تشدك قصيدة بذاتها قالها شاعر ما، بل قد يشدك بيت واحد لهذا الشاعر، أكثر مما تشدك قصائد كثيرة لشعراء آخرين. . كما قد يستهويك مقال لناقد أو رأي نقدي عابر لهذا الناقد أكثر مما يستهويك الكثير من التحليلات النقدية الأخرى.

* أين نحن من الشعر المسرحي الآن؟

- يعد الشعر المسرحي فنا من الفنون الأدبية المقبولة التي دخلت الشعر العربي. .

ولعل أحمد شوقي من أوائل الشعراء العرب الذين أدخلوا هذه اللون الشعري.

ولا أعتقد أن لدينا شعرا مسرحيا سعوديا يمكن أن يرقى إلى المستوى المنشود رغم العديد من المحاولات المبذولة في هذا المجال. وقد يعزى ذلك إلى أن الذهنية العربية غير مهيأة لإستخدام الشعر مسرحيًا.

اليمامة/ العدد ١١٠٦ في ٢٨/١٠/١٤١٠هـ.

حديث مع صحيفة:

مايسمى بالشعر الحر يمثل الهزيمة الأدبية للأمة العربية

كثيرون هم الأدباء والشعراء السعوديون الذين ابتعدوا عن الساحة الثقافية وكثيرون هم الذين اشغلهم العمل الوظيفي عن الإبداع وكثيرون هم الذين تركوا الساحة الثقافية لأسباب أخرى.

من هؤلاء الأديب الشاعر عمران بن محمد العمران الذي أشغله العمل الوظيفي عن المشاركات الثقافية، وإن وجدت فهي محدودة لا تقاس بالفترة عندما كان يعمل عمران في الصحافة التي كانت، كما يقول، أحد العوامل وراء النشاطات الدائمة والمستمرة.

«الشرق الأوسط» التقت عمران العمران في هذا الحوار الذي تطرق فيه إلى عدد من القضايا الفكرية والثقافية.

كان سؤالنا الأول الذي وجهناه لعمران عن أسباب اختفائه عن الساحة الثقافية فأجابنا:

- لم تكن الصلة مقطوعة مع هذه الساحة تماما، فلم تخل الحال من نشر العديد من القصائد والمقالات الأدبية والاجتماعية إلا أنني أعتقد - ومن واقع التجربة - أن الوظيفة من عوائق الأديب أو الشاعر، ولا سيما إذا كانت مما تشغل عليه وقته وذهنه. ولقد كان من نصيبي أن أرتبط بعمل ذي اتصال مباشر بالناس. وطبيعة مثل هذا العمل تستحوذ على الوقت وتستهلك الجهد والفكر حتى في ساعات الراحة.

ومن هنا يجد المرء نفسه مرغما على الغياب عن الساحة الأدبية، ولكن هذا الغياب - مع ذلك كله - لم يقطع حبل التواصل مع هذه الساحة، فما أزال أجد بعض المتسع للقراءة، حيث أن لديَّ مكتبة منزلية تغنيني عن سواها في أغلب

الأحـوال، كما أنني أجـد فسحـة منـاسبـة لتسجيل بعض الخطرات النثرية والشعرية التي نشرت بعضها في الصحف في حينها وبعضها آثرت أن يكون نصيبها الإهمال.

لكنني ـ وأنا ألقي عصا التسيار مع الوظيفة ـ أستشعر شيئا من الرغبة ولو على استحياء في استعـادة بعض من النشاط الأدبي، وأطمح إلى أن يسترد ذهني لمحات من شبابه إن أسعفته الحال.

* **يقال إن ابتعاد الأدباء الكبار عن الساحة من الأسباب التي هي وراء ظهور الشباب أو اتجاههم للشعر الحر؟.**

- في نظري، ولـو تجاوزاً، أن الأدب كائن متـطور، شأن الكائنات الحية وهو يتجدد على مدار الزمن، تذهب أجيال وتعقبها أجيال، وتتوارى أفكار وتخلفها أفكار، وهذه هي سنة الحياة وهي قاعدة طبيعية.

ولئن ابتعد الأدباء الكبار ـ كما يقول السؤال ـ فإن في هذا إفساحَ مجالٍ لبروز الأدباء الشباب إذ من البديهي أن يكون ابتعاد أولئك سببا وجيها لظهور خلفاء لهم من هؤلاء.

أما أن يكون هذا الابتعاد قد أثمر بروز شباب ينحون منحى مغايرا فيتجهون ـ مثـلا ـ إلى مايسمى في عرف أصحـابه بالشعر الحر، فهذا موضع نظر في حسبـاني، فليس كل شعـراء الشبـاب ينهجـون هذا المنهج. إن الكثير من الشعـراء الشباب قد التزموا بثوابت الشعر العربي الأصيل، تماما كإلتزامهم بمعـطيات حضارتهم العريقة، بل لقد أبدعوا في ذلك أيما إبداع وأجادوا. وسيظل نتاجهم نغما حيا تردده الأجيال العربية القادمة في زهو وإعتزاز إن شاء الله. ذلك لأنهم قد صدروا عن مورد ثر أصيل وانطلقوا من مضمار فكر عربي خالص، وماكانوا أذيالاً ولا أتباعا ولا سائرين في زفة الهزيمة الفكرية. وإنما هم ضمير الأمة الحي ولسانها الذرب الذليق.

أمـا الذين ضيعوا السبيل، ونحوا منحى مايسمى بالشعر الحر، فنتركهم لحكم التاريخ الأدبي في غده. ونحسب أنه حكم لن يخطيء جادة الصواب. لكننـا هنـا نتساءل: أي نصٍ من هذا القبيل قد علق بذهن قارئه؟.إن ذاكرة القاريء العربي تفقد مثل هذا النص بمجرد أن يضعه قارؤه على الرف إن لم يكن بمجرد أن يجف مداد كاتبه!.

* **هل استطاع الشعر الحر أن يحقق غايته في معالجته الواقع، وأن يثبت وجوده بمرونة الشعر القديم وقوته..؟.**

- باختصـــار: لا.

وللإجابة، بالتفصيل، على مثل هذا السؤال يجب أن نتذكر. أولا - أن لذة الاستمتاع بالنغم والعبارة ولذة الاستيعاب للمعنى وللصورة الشعرية، إن كان هنـاك صورة أو معنى في مايسمى بالشعـر الحر، هما لذتان وقتيتان عابرتان تذوبان في سرعة. ويظل استيعاب المعنى والصورة مضطربا، أو على الأقل حائرا في مكانه. بمعنى أن ذلك كله ينتهي بعد فترة وجيزة، وأن حظ بقائها في حافظة التاريخ الفكري والأدبي لا تكاد تذكر من عمر هذا التاريخ. بينما الشعر الأصيل الموزون المقفى، يظل أبدا يعانق الأفئدة والعقول على مدى العقود والقرون. وأنا هنا استبعد النظم الذي يلتزم بالوزن والقافية ولكنه يخلو من الشعـور والـوجدان فيكون أشبه بالهيكل العظمي. هذا النوع هو نظم وليس شعرا، وترجيعه يشبه طنين بعض الحشرات!.

إن الشعر الموزون المقفى المليء بالدفء وعمق الشعور وشفافية الوجدان هو ما أعنيه بالشعر الأصيل، فهذا الشعر هو مايبقى خالدا على كل شفة ولسان وفي كل ذاكرة وزمان.

لنعد إلى أمر ما يسمى بالشعر الحر، ولنبحث عما كان طافحا - قبل عقد أو عقدين أو ثلاثة - على صفحات الجرائد والمجلات العربية من نتاج أربابه، أين

هو اليوم؟ ثم أنظر إلى ما أنتجته قرائح الشعر العربي الأصيل في الفترة نفسها من أمثال عمر أبي ريشة وحسين سرحان وبدوي الجبل والجواهري وعلي محمود طه وإيليا أبي ماضي. بل أنظر إلى نتاج الشعراء العرب الأقدمين من أمثال المتنبيء والمعري وأبي فراس وإبن زيدون والعباس بن الأحنف.

ولسوف تجد أن النمط الأصيل هو العالق أبدا بذاكرة الإنسان العربي. ذلك أن التجديد في الشعر لا يكون بالتنكر لقوانينه، وإنما يكون في الابتكار في المعاني، كما يكون في الإبداع بالأسلوب وفي استحداث الصور والأخيلة الملائمة لبيئة الشاعر وحياته المعاصرة. وهذا ما أخذ به شعراء العربية عبر تاريخها الطويل.

على أن مايسمى بالشعر الحر يمكن اعتباره من قبيل النثر، بمعنى أن الجيد منه يمثل وجها أدبيًا، بل فكرا عربياً، أما الرديء فإنه يدخل في باب الكلام العادي الذي لا يختلف عن كلام السوقة والعوام، وقد ينتظم بعضه مفهوم الهذر في أحيان كثيرة!.

وعلى أي حال، فإن مايسمى بالشعر الحر يمثل الهزيمة الأدبية للأمة العربية وهي هزيمة لا تقل بحال عن هزائمنا السياسية والعسكرية.

الفترة الذهبية للأدب السعودي

* **ماهي الفترة الذهبية لإزدهار الأدب السعودي؟**

- من الصعب تحديد فترة ما ووصفها بأنها الفترة الذهبية لأدب ما.غير أننا إذا درسنا الأدب السعودي ـ عبر مساره وعلى مدى السبعين عاما المنصرمة ـ نجد أن هذا الأدب يعيش اليوم حياة صحية جيدة. هذا برغم ماينتاب هذه الحياة من أوجاع وعلل ومايكتنفها من غثاثة وإرتباك وما تصطدم به من مواجهات خفية أو ظاهرة تستهدف الأصالة والتراث، والثوابت بوجه عام.

ذلك أنه مع ماهو شائع في محيط هذا الأدب من هزالة في الأسلوب وركاكة في اللغة وتدنٍ في الفكر وجنوح في المنحى، ومع ذلكم الطفح الهائل من الأشعار العامية السائبة، ومن «الأشعار» التي لا تلتزم بموسيقى الشعر العربي ولا بضوابطه، بل لا تتوفر بها الحدود الدنيا من المدلول الشعري الحقيقي حتى أصبح بمقدور كل عابر سبيل أن يتطفل على مائدة الشعر وأن يجد من يدق له المزاهر والطبول.

مع ذلك فإن الأدب السعودي يعيش اليوم فترة مزدهرة فهو يعمر بالمقالة الأدبية الجيدة وبالقصة ذات المحتوى العميق، كما يعمر بالدراسات الأدبية المنهجية وبالبحوث الجادة، إلى جانب القصيدة العربية الأصيلة. والساحة الأدبية السعودية مملوءة اليوم بحشد من الأكاديميين المتخصصين في شتى فنون العربية وآدابها. كل هذا يوحي بأن أدبنا المعاصر بخير وأنه يكاد يكون أفضل منه في عقوده السبعة السالفة.

* **من هم الشعراء الذين يعجبونك في الوطن العربي؟ ولماذا؟.**

- الشعراء الذين يبدعون ويطربون، فيعجبون، كثيرون وقد حفلت بهم الحياة الأدبية في الوطن العربي كله، وازدهرت بهم سوقها، وأصبحوا على لسان كل متذوق للشعر وكل متعشق له. ومصدر هذا يعود إلى أصالة الروح الشعرية في طبيعتهم، وقدرتهم على الإبداع الفني وعلى تسخير الموسيقى الشعرية لخدمة الغرض والمعنى بحيث لم تكن يوما هذه الموسيقى - بما تحويه من قوانين الإيقاع والوزن والتقفية - عائقا للإبداع أو التصوير الجيد أو التعبير عن خلجات النفس وخفقان الوجدان أو للتأثير في الآخرين.

هؤلاء الشعراء كثيرون وهذا يعني أن الشعر العربي المعاصر في خير ويكفي أن نذكر منهم - على سبيل المثال - من السعوديين: حسن بن سرحان، محمد حسن فقي، طاهر زمخشري، غازي القصيبي، اسامة عبدالرحمن، عثمان بن سيار،

ومن غير السعوديين: عمر أبوريشة، بدوي الجبل، سليمان العيسى، محمد مهدي الجواهري، عزيز أباظة، محمد الأسمر، محمد حسن إسماعيل، أحمد بن محمد الشامي.

على أن الإعجاب بالشاعر ليس على إطلاقه، وإنما هو للقصيدة يقولها شاعر من أضراب هؤلاء، فتستحوذ على ذهن السامع أو القاريء وتستبد بمجامع الأفئدة، فقد تروق ـ مثلا ـ قصيدة ما للذهن فيردد صداها وصدى قائلها الجيل بأجمعه وتسير في ذلك الخلود مع الزمن.. لكن هذا لا يعني الإعجاب بالشاعر مطلقا فالأمور نسبية دائما، ولكل شاعر ـ إبان إنشائه قصيدته ـ حالته النفسية وظروفه العامة التي تضفي على القصيدة طابعها وتحدد مدى عمقها وتأثيرها في النفوس. والإعجاب بشاعر مجيد على حساب شاعر مجيد آخر لا يخرج هذا الأخير من دائرة الإبداع والجودة ولا ينفي عنه الاعجاب من متذوقين ومتعشقين آخرين للشعر الجيد.

*** كيف يمكننا الخروج إلى وضع ثقافي أفضل سواء في السعودية أو في سواها من وطننا العربي؟**

ـ لا بدَّ لنا، ونحن نطمح إلى هذا الوضع، أن يكون حظنا من الثقافة العربية القديمة وفيرا. لابد من هضم هذه الثقافة وفنونها وآدابها وسلوكياتها هضما جيدا لأنها المصدر الأول لأي ثقافة عربية لاحقة. وآداب الأحفاد لابد أن تكون امتدادًا لآداب الأجداد. ومن المؤلم أن نجد العديد من أدبائنا المعاصرين يعيشون في عزلة عن أدبنا القديم.

كما لابد لنا من الاطلاع على شتى الآداب الأجنبية، وبالذات الآداب المعاصرة، ولن يكون هذا إلا بترجمة الأعمال الكبيرة للأدباء العالميين بشكل واسع وكبير، كما لن تتوفر هذه الترجمة إلا بتذليل سبلها عن طريق التشجيع والدعم. وبدون أن يطلع أدباؤنا على آداب الآخرين سيظل عطاؤهم محدودا،

وأفقهم مقصورا وفكرهم أقرب إلى الاقليمية منه إلى العالمية.

كما لابـد لنـا، أو لأدبائنا، أن يطعموا ثقافتهم ببعض الأساسيات في شتى حقول العلم والمعرفة، فلا يكونون «أدبيين» في كل شيء. وأخيراً.. فلابد من توفر عنصري الوطنية والإنسانية في أي نتاج أدبي وإلا أصبح هذا النتاج جسما بلا روح.

بهذه الأسباب يصبح لنا وضع ثقافي أدبي مميز.

الصحـــافة والابـــداع

* **من واقع تجربتك الخاصة مع العمل الصحفي وممارسة الابداع، هل ترى وجود تعارض بينهما؟.**

- لا أعتقد بوجود هذا التعارض فالصحافة حرفة تخدم الناس والمجتمع والحياة بوجه عام.. وهي إحدى أوعية الفكر والأدب.. بل يمكن القول بأن الأدب جزء من الصحـافـة وأحـد عنـاصرها، وليس كل أديب صحافيًّا ولكنْ من المرغوب فيه أن يكون الصحافي أديبا. وكم شهدت الصحافة العربية ـ ولا سيما في النصف الأول من هذا القرن الميلادي ـ ضروبا من هذه القربى جعلت من الصحافة مضمارا للفكر والإبداع، وأثمرت جيلا من الصحفيين الأدباء من أمثال الدكتور محمد حسين هيكل وأنطون الجميل وخليل مطران ولطفي السيد.

وقـد كان بعض رواد الأدب السعـودي رؤساء لتحرير بعض الصحف مثل سعيد عبدالمقصود وفؤاد شاكر وعبدالوهاب آشي وأحمد السباعي وحمد الجاسر ومحمد حسن فقي وأحمد قنديل ومحمد حسن عواد. وإن من بين هؤلاء وأولئك من كان الشـاعر الفحل، والقصصي المبدع، والباحث في الآثار والتاريخ، ومدون الرحلات، وكاتب السير، وصاحب المقال الأدبي أو الاجتماعي، ولم

يكن هناك أي تعارض بين حرفتهم الصحفية ومايمارسونه من ابداع . ولن ينال تطور مفهوم الصحافة من هذه الوشيجة شيئا نظرا لعمق هذه الوشيجة .

* **قليلون من يكتبون الآن الشعر العمودي، في الوقت الذي يزداد فيه شعراء القصيدة الجديدة ويزداد فيه جمهورها، وفي الوقت الذي فيه أيضاً انسحبت القصيدة العمودية من الساحة منذ عدة أعوام.**

ـ سؤال تبدو الإجابة عليه مريرة ومؤلمة، ولكنني أجيب مرغما بقول السموأل:

مُعيرتي أنا قليل عديدنا فقلت لها: إن الكرام قليل

نعم إن المجيدين دائما أقل من سواهم. وفي عالم اليوم نجد أن المفكرين والملتزمين بالجذور الثقافية والفكرية قليلون وخصوصا في ما يسمى اليوم بالعالم الثالث ـ أو النائم ـ والذي ماعاد يقيم لماضيه وزنا حيث تعم الأمية الثقافية فيه بفضل أساليب الغزو الفكري الرهيب.

إن قلة الذين يجيدون الشعر العمودي ـ كما تسميه ـ ليست راجعة إلى هذه «العمودية» وإنما لأن هذا الشعر هو من المناعة الفنية بحيث لا يستطيع اقتحام حماه إلا فرسانه!.

الشرق الأوسط/ العدد ٤٧٧٣ في ٢٣/١٢/١٩٩١م.

دكان للشعر

قال محدثي :

حلمت ذات ليلة بأنني قد أصبحت شاعرا . . بل شاعراً فذا يجيد تدبيج القصائد وأنني قد دفعت بعدد من الدواوين إلى إحدى دور النشر بعد أن ظفرت هذه الدار بامتياز نشر هذه الدواوين على سائر الدور المنافسة .

وجاءني - أثناء الحلم طبعا - شاد من شداة الأدب ، أو بعبارة أخرى من أدعيائه المغرمين بحب البروز والشهرة والذين يتوقون إلى أن يكون لهم شعر يقرؤه الناس ويطربون له ، ويضفي على أربابه مسحة من المهابة في أنظار أولئك الناس . . وقد سألني أن أعينه على إنجاز قصيدة - وقد أسماها هو كذلك - ظل يعالجها وزناً وقافية ، وميْلًا وسنادا ، وأسلوبا ومعنى ، منذ أيام ، فلم يستقم له عودها حتى الساعة . ولقد رق قلبي لحاله ، فلم أشأ أن أكسر خاطره . وقلت : لعل لسان حاله قول ذلك الحكيم :

لا تعرضنّ على الرواة قصيدة   مالم تبالغ قبل في تهذيبها
فمتى عرضت الشعر غير مهذب   عدوه منك وساوساً تهذي بها

وتناولت مامعه من كلام ، ورحت أعمل فيه بقلمي كثيرا ، ثم أعدت الورقة إليه بعد أن تغيرت صورتها ومحتواها تغيراً واضحا ، ورجوت له مستقبلا أفضل في عالم الشعر . ويبدو أن لعابه قد سال أكثر مما يجب ؛ فقد عاد إليّ بعد أيام - ومعه رفيق له - شاكراً صنيعي معه ، وذاكراً أنه قد تم نشر «قصيدته» في جريدة «الربع الخالي» وهي صحيفة لا ينقصها إلا الأدب الرفيع - وكرر أمله بأن أساعده - وأن أساعد رفيقه أيضا - في استكمال بناء «قصيدتين» احضراهما معهما ، وقالا : إنهما سهرا من أجلهما أكثر من ليلة . . لكنني اعتذرت إليهما في أسف ولطف .

لكن هاجساً أخذ يحوم من حولي بعد ذلك ؛ فما أن خرج الشابان من عندي

ـ وأنا في خضم حلمي ـ حتى خطرت لي فكرة جشعة، وقلت لنفسي: إن كثيرا ممن أعرف قد فتحوا مكاتب «عقارية» أدرت عليهم ملايين الريالات وأصبحوا ـ خلال سنوات قليلة ـ ذوي وجاهة وأصحاب رنّةٍ وطنّةٍ، وأن آخرين اقاموا مكاتب لبيع وشراء أسهم الشركات فحققوا في ذلك نجاحا، بل إن من الناس من احترف مهنة «التعقيب» ومتابعة الأوراق والمعاملات في الجهات الحكومية والمؤسسات الخاصة والعامة فجنوا من وراء هذا خيراً وفيراً.

ورحت أضرب لنفسي أمثالا متتالية أخرى على مجالات للعمل ولج إليها «المستورون» من أمثالي فكان أن صاروا ـ بحمد الله ـ بعد فترة وجيزة من الزمن أرباب شأن وثروة مغبوطين عليهما مني ومن غيري.

وقلت لها ـ أي لنفسي ـ إنني قد أصبحت شاعرا يشار إليه بالبنان وباليراع معا، ولديّ فائض شعري يزيد عن حاجتي ومن الممكن توظيفه ليعطي مردودا مادياً طيباً خاصة وأن السوق ـ كما تبدو ـ تبشر ظواهرها بخير. !.

وقررت أن أفتح مكتبا لبيع الشعر على العاجزين عن نظمه وتصفيفه، واخترت مكانا ملائماً على أكبر شارع في مدينة الرياض آملاً أن يتسع نطاق عمل المكتب في المستقبل، فافتح فروعا له في بعض أحياء المدينة كالنسيم والريان والمعذر، وفروعا أخرى في بعض المدن الرئيسية. وقد وضعت معايير لأسعار القصائد؛ فبحر الطويل مثلا غير بحر الهزج، وبحر البسيط غير بحر المنسرح، والمقطوعة غير المطولة، وقصيدة المدح غير قصيدة الهجاء وغير قصيدة الغزل، وهكذا.. وعلى ذلك أصبحت القصيدة الغزلية المسبوكة مثلا على بحر البسيط والخالية من الزحافات والعلل العروضية أعلى سعراً من سواها لأنها قطعا ستخلب لب الحبيب المجهول وستفترس وجدانه وتجعله يلقي بنفسه على أقدام الشاعر طائعا مختارا.

وتصورت في منامي جموع المتشاعرين تتوافد على المكتب، وتصورت

«أشعارهم» تنشر في بعض الصحف بخط بارز وجميل وتعلوها صورهم الكريمة، ودبت الغيرة في نفسي ـ أثناء الحلم أيضاً ـ فقلت: لماذا لا أغشن في تجارتي خاصة وأنه لا يوجد لدينا مكتب لمكافحة الغش الأدبي بفضل حرية تجارة الأدب وبفضل سياسة الانفتاح المشروعة لكل من هب ودب، وصرت لا أبيع لزبائني إلا رديء الشعر بل صرت أتعمد بيع نظم تافه غث، ومع هذا أجد من الزبائن من يقبل عليه في لهفة وأجد بعض الصحف تتبارى في نشره وكأنه من فرائد الأدب العالمي.

وفوق ذلك عنّ لي أن أعبث قليلا، وأن أحاول كتابة الشعر النبطي، فهو سيدر عليَّ الكثير، وهو أجدى مردوداً ماديًا من الشعر الفصيح، وطلابه أكثر عددا وامكانياتهم أوفر وأمكن، ولهذا اللون العامي من الشعر هواة وقارئون هم أكثر جهلاً وغباوة من سواهم، وقد أعددت للأمر عدته، واستعنت ببعض المروجين من باب الدعاية وخصصت ركنا من المكتب لهذا الشعر، فإذا بالدنيا تمطر فوق رأسي ذهبا.

لقد كان الزبائن يترددون ساعة بعد أخرى لشراء هذه البضاعة الجديدة. كانوا يأخذونها معهم أحيانا، وأحيانا يطلبون بعثها إليهم في منازلهم بعد أن يطلبوا اضافة بعض الأفكار البالية إليها. لكن الجميع كانوا يدفعون «الأتعاب» ـ والحق يقال ـ بشكل يوحي بالشهامة والنبل، فلقد كان من شروط البيع أن يتم الدفع مقدما ـ يداً بيد ـ.

غير أن من عيوبنا التجارية في هذا البلد أن صاحب أية فكرة سرعان ما يفاجأ بعشرات المزاحمين له المقتفين أثره، فلم يمض عام واحد حتى أصبح في مدينة الرياض وحدها أكثر من عشرة مكاتب لبيع الشعر. . وبعض هؤلاء التجار شعـراء فعلا لكن أغلبيتهم في حاجة إلى الصفع على الوجه. . إلا أن الطامة الكبرى كانت في وجود افراد من تجار «الشنطة» الشعرية الذين أتوا على الأخضر

واليابس. وعندها أضطررت إلى قفل مكتبي وكذلك فعل بعض الشعراء «الشرفاء» تاركين السوق لأولئك الجوالين وربما لفئة أخرى من «المتسترين» يبيضون فيها ويصفرون.

وعلى صوت هدير سيارة النظافة حول المنزل عند الفجر، رفعت رأسي من فوق وسادتي، وصحوت من غفوتي، فإذا ليلتي أضغاث أحلام، وحمدت الله على أنني لست بشاعر.

وهنا انتهت رواية محدثي.

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
أدب الجزيرة	٦
هل هو شذوذ الشعراء . . ؟	٩
نعم . . أنتم الشعراء	١٣
أنات الساقية	١٧
شاعر الوطنية . . في المهجر	٢٣
الشعر المنثور	٢٩
فترات الذهن	٣١
شوك . . وورد	٣٢
العقد النفسية في أدبنا	٣٤
الغزل عند شعرائنا	٣٥
ابن مقرب والقرامطة	٣٨
الدولة العيونية	٤١
هل لدينا شعراء؟	٥٠
هذا الجهل الفاضح . . من المسؤول عنه؟	٥٣
فكرة إنشاء مجمع لغوي في بلادنا . . سابقة لأوانها	٥٦
الأدب الشعبي . . ماذا يعني هذا التعبير . . ؟	٥٩
توارد الخواطر في الشعر الشعبي	٦٢
دراسة لبعض الأغراض الشعرية في الشعر الشعبي	٦٦
ابن خلدون والعرب	٧١
وهل لدينا أدباء . . ؟	٧٣
من هو المكتشف الحقيقي لرأس الرجاء الصالح؟	٧٦
فقيد النقد الأدبي	٧٩

الموضوع	الصفحة
لندرس الأدب بتجرد	٨٠
نريده أدباً ناضجاً متكاملاً	٨١
الأدب والصحافة	٨٣
لنحترم لغتنا	٨٥
الحصان المقيد	٨٦
نقاش حول الصيد. . ومشكلات الشعر	٨٧
الثقافة للجميع	٩٠
مضايقات	٩٢
الأدب في العيد	٩٣
أما من خلف لهؤلاء؟	٩٩
انتعاش أدبي ولكن	١٠٣
الحاجة إلى دائرة معارف عربية	١٠٦
الأدب والحياة	١٠٨
ليست مشكلة لغة. . وإنما أهل اللغة	١١٠
حول الأدب	١١٣
الأدب لا يقبل هذه التجزئة	١١٦
حول الشعر الشعبي	١١٩
العلم للعلم. . والعمل	١٢٠
لماذا أدبنا ضعيف؟	١٢١
مع ابن خميس على ربى اليمامة	١٢٥
أهي أزمة في الثقافة والفكر؟	١٣٣
لنضع حداً لاهتمامنا بالشعر الشعبي	١٤١
هوان العربية على أهلها	١٤٤
مجلة العرب	١٤٦
الشعر	١٤٨

الموضوع | الصفحة

نويم المؤلفات قبل نشرها ١٥٠
ـوات الأدب ١٥٢
ـديم والجديد ١٥٤
ـبد من توفير المناخ الفكري المناسب للكاتب والشاعر ١٥٦
ـ يسمى بالشعر الحر يمثل الهزيمة الأدبية للأمة العربية ١٦٧
ـان للشعر ١٧٥
ـهرس ١٧٩

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الرياض ١١٤٩٤ ـ ص.ب ١٧٦٨٨